حدياب ... أربيلا ...
وعشتار - أربيلا

بقلم : فؤاد جميل

مقدمة

(١)

حدياب (اديابين : Adiabene) على ما عرف لدى الفرث والماذيين ـ أو (اتوريا : Aturia) ، وعلى ما سماه العرب : (حزة) ، ولعل ذلك اختزالا من (حدياب) ، اقليم[1] على شكل شبه معين ، حدّه الاول : دجلة ، وحداه الثاني والثالث : الزابان الاعلى (زابو ايلو) ، والاسفل(زابو شوبالو)، وسلسلة جبال زغروس الموازية لدجلة ، حده الرابع : هو اقليم من سهل وتلال ، كان ، على التقريب : أرض آشور القديمة ، وكانت على مقربة منه : « العواصم الآشورية الاربع القديمة » أيضا . وفي القلب منه كانت ، ولا تزال ، (اربيلا) : عاصمة الآشوريين «الدينية» ، والمركز الرئيس لعبادة الالاهة عشتار . ومردّ خطر (اربيلا) اربيل ، وبقائها حتى يوم الناس هذا ، الى انها في قلب هذا (الاقليم) ذاته ، وهو الذي شُهر ، بانتاج أفضل أنواع الحنطة ، وبقيت شهرته حتى يوم الناس هذا ، من جهة ، ولوقوعها منذ القديم على طريق الفاتحين بين الموصل(نينوى) وبين كركوك (اربخا : Arrapkha) أو (كرخيني) . لقد

---

(١) ان مسح حوض نهر الزاب من قبل (المعهد الشرقي) التابع لـ (جامعة شيكاغو) ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥ والاكتشافات الرائعة التي قام بها دكتور آر سوليكي Dr. R. Solecki المنسوب الى (جامعة ميشكين) في كهف شانيدر ، منذ سنة ١٩٥١ ، اضافت الى معلوماتنا عن العراق القديم قدرا عظيما وكشفت عن عراقته في القدم ، اذ وجدت فيه هياكل عظيمة تعود الى نحو ٤٥٠٠٠ سنة وهيكل آخر يعود الى ما قبل ١٠٠٠٠٠ سنة .

استطال عمر (اربيلا : Arbela) الى نحو ٣٠٠٠ سنة وتعتّد من المستوطنات القلائل التي بقيت معمورة ، على كرّ الليالي ومرور الايام ، من دون انقطاع .

لقد علا شأن (حدياب) وعلت (اربيلا) ابّان العهد الآشوري علوا كبيرا ، ولما كانت اربيلا ، قلب حدياب ، هي عاصمتهم الدينية ، ولما كان الملك الآشوري هو (الكاهن الاعظم) ، لذلك كان الملوك الآشوريون يؤثرونها ايثارا عظيما ، ومن هؤلاء : (آشور ناصربال : ٨٨٤ ق.م) الذي كان يسميها بـ (مدينتي) تحببا، كما كان يحج اليها هؤلاء الملوك قبل الاقدام على حملة من حملاتهم التي يحفل بها تاريخ العراق القديم ، وعلى سبيل المثال لا الحصر ، حج اليها سنحاريب ـ أشهر الملوك الآشوريين طرا ـ في سنة ٦٩٢ ق.م ، وصلّى فيها الى الالاهة عشتار واستنصرها عساه يصيب نجحا في حملة بازاء البابليين ، لقد أدرك ذلك حقا . وبعد ٢٤ سنة من ذلك : سعى ابنه : أسرحدون الى الثأر من قتلة أبيه ، و (المدوّنات) تذكر انه سعى الى معبدها في (اربيلا) يستنصر الالاهة أيضا ، وقيل انه تسلم فيه رسالات مشجعة مطمئنة بأنه سيأخذ ثأره المنوّم ، وقد حدث ذلك حقا .

واثر سنين، وفي سنة ٦٥٦ ق.م على التحديد، سعى اليها الملك الآشوري (آشور ناصربال) ابان اعداده العدة لحملة يشنها بازاء (عيلام : عربستان الحالية في الجنوب الغربي من ايران الحالية) وصلى للالاهة عشتار في معبدها الاربيلي أيضا .

لقد كان (معبدها) من أروع المعابد في أرض آشور ، وعندما قلبت معركة نينوى (٦١٢ ق.م) الانبراطورية العظيمة رأسا على عقب ، واستولى الماديون عليها وسقطت (اربيلا) بأيديهم ، كانت قدسية (المدينة) وحرمة (معبدها العظيم) من الاسباب التي صانتها من يد الاجتياح والتدمير .

ذكرنا أصل اسم (آديابين : حدياب) ، أما اسم (اربيلا : أربل : اربيل) فهو قديم تردد كثيرا في المدوّنات التأريخية المتعلقة بشتى العهود، أنها المدينة الآشورية الفذة التي بقيت آهلة ، ومحتفظة باسمها ، حتى يوم الناس هذا ، على اختلاف يسير في النطق . ففي مدونات ملك سومر : شولكي (نحو ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد) ورد الاسم بصيغة (اربيلم : Urbilum) أي بضمّ الالف ، وورد بالفتح أيضا . أما في المدونات البابلية الآشورية فالاسم يرد بصيغة (اربا ـ ايلو) أي : أربعة آلهة . وعلى لسان البلديين من سكنتها اليوم حُرِّف اسمها عن موضعه ، فغدا (ارويل) تارة و (أوليرا) و (هوليرا)[٢] تارة اخرى .

---

(٢) هناك ، من يذهب الى ان الاسم الاخير منسوب الى الشمس ، ف (هيليو : Helio الجذر الآري يعني ذلك) وهذا تحرّف الى (هەولير) و (خولير) ، او (هولير) على النطق البلدي ، وعلى ذلك يكون معنى الاسم مدينة الشمس وعبادتها .

وعرفت عند البلـــدانيين العرب باسم : (إربيل)[٣] .

ان التل الذي تقوم اليوم (اربيل القديمة) عليـــه يمثـــل أدوار ســـكن متتابعـــة ويفسر (جورج رو)[٤] قيامه على الوجه التالى : لما كان سكان العراق القدامى يعدمون وسائل نقل أنقاض الدور والبنى الاخرى ، لذا كانوا يعمدون الى تسوية الخرائب ويستعملون أنقاضـــها أســـاسا لبناياتهم الجديدة . ان هذه العملية كانت تتكرر مرات ومرات خلال سنوات طوال متتابعات ، ولما كانت مستويات السكن يتلو بعضها بعضا ، لذلك كانت المدن تعلو وتعلو على السهل الذي يحيط بهـــا . ومن هذه المستوطنات ما اهمل وغادرها أهلها ، ومنها مثل (اربيل) و (كركوك) بقيت ترتفـع ويسكنهـا أهلهـا دؤوبا حتى يوم الناس هذا .

ان مشكلة الماء في اربيلا قديمة ، ولقـــد شغلت فكر الملك الآشوري سنحاريب (القرن السابع ق.م) فقام بمشروعه الاروائي الجليل ، تبدأ فتحته عنـــد القرية المسماة (قله مورتكه) جنوبي (وادي باستورا) ، وقد اكتشفت مديرية الآثار العراقية العامة آثار القناة سنة ١٩٤٧ .

فعند الفتحة جدار من حجر مهندم ، وعلى حجر منه كتابة تخلد شق القنـــاة جاء فيهـا : (أنا سنحاريب ملك العالم آشور حفرت ثلاثة انهر في جبال (خاني) ، في أعلى مدينة اربيلا ، «موطن السيدة الجليلة الالاهة عشتار» جاعلا مجاريهـ مستقيمة . » والمراد من جبال (خاني) الجبـال المشرفة على (وادي باستورا) والتي تفصل اليوم بين ما تسمى : سلسلة خانەزاد وصلاح الدين . وقد تكون في اسم (خانەزاد) أثارة من جبـــال (خاني) ، أو ان هذه من تلك .

ان الفن الهندسي الدقيق ليتمثل في شـــق هذه القناة : فمستوى (باستورا) أوطأ من مستوى الارض التي تسير فيها القناة بنحو ٢٥ مترا ، لذلك شقت القناة على غرار نفق ، كما حفرت آبار متسلسلة كل بئر منها يبعد عن سابقه بنحو ٤٢ مترا ، وعلى غرار (الكهاريز) ، وعنـــد حفر آساس (مدرسة خانقاه) في اربيل قيل انه عثر على آثار القناة[٥] .

ان هذا المشروع الاروائي هو صنو مشروع آخر قام به سنحاريب نفسه سنة ٦٩١ ق.م. حين أجرى الماء الصافي من نهر الكومل الى قنـــاة مبنية ، في بعض أقسامها ، بحجر ، لمسافة ٨٠

---

(٣) ويسميها الناس في يومنا هذا : « اربيل ، وأوربل ، وأوربيل ، اولولير ، وهوليرا » والصيغ الثلاث الاخيرة شائعة بين الاكراد .

(٤) راجع :
George Roux: Ancient Iraq. p. 33.

(٥) يراجع في هـذا الصدد البحث النفيس للاستاذ فؤاد سـفر (سومر جـ ١ المجـلد ٣ ص ٢٣ ـ ٢٥) بعنوان :
Sennacherib's Project for supplying Erbil with water.

اذ ورد فيه أن لجنة انتدبتهـا (مديرية الاثار العراقية العامه) قامت بالتحري عن مجرى نهر (باستورا) الذي يستقي ماؤه من مجرى يقع شرقي قلعة مورتكا Qala Mortka وهذه القلعة على بعد نحو ٢٠ كيلو من أربيل شمالا . ان عقيقة النهر اليوم جافة ، وكانت ثمة كهاريز (ومن فوائد الاستاذ فؤاد سفر ان هذه الكلمة فارسية النجار وقد عرّبت) كان أهل القرى الكائنـــة على جانبي مجرى النهر يستقون بواسطتها .

كيلا • ولتخليد عمله أقام سنحاريب عند منبع نهر الكومل ، وهو أحد فروع الخازر ، وبالقرب من قرية (اى خنس) ، ولا تزال تعرف اليوم بـ (خنس) ، منحوتات نُقرت على سفح الجبل القائم على جانب النهر الايمن تمثله واقفا أمام الالهة الآشورية القائمة على الحيوانات الخاصة بها •

والمشروعان الاروائيان المذكوران أعني : مشروع ارواء اربيل من (وادي باستورا) ، ومشروع ارواء نينوى[٦] من نهر الكومل ، لهما مشروع اروائي ثالث هو : مشروع ارواء العاصمة الآشورية (كالح) من (الزاب) • انها من مشاريع الارواء الكثيرة التي عني بها الآشوريون ، وكلها تكاد تنحصر في اقليم (حدياب) من حيث المصدر ، وهم في ذلك كانوا يجرون على سنة سكان العراق القدامى في العناية بضبط مياه الرافدين ، وروافدهما وروافعهما ، بشق القنوات واقامة المصانع (السدود) ، ولم يشذ عنهم قوم ، على تعاقبهم ، أعني : السومريين والاكديين والبابليين فالآشوريين •

قلنا : ان اربيلا صارعت صروف الدهر وبقيت مستوطنا دائما وأرجعنا ذلك الى «قدسيتها» الناجمة من كونها المعبد الرئيس لعشتار ، وهذا مصداق المبدأ القائل بأن قدسية موضع ما تبقى ما دامت اصول ذلك الدين ، وتلكم العبادة باقية ، فان اقتلعت تلكم الاصول وزال الدين واستبدل بدين يختلف ، من حيث الفحوى والمحتوى ، زالت تلكم القدسية ، وهذا ما حدث لاربيلا بعد ظهور النصرانية فالاسلام ، وان بقيت لها أهمية الموقع الستراتيجي والاقتصادي• ان قدسية اربيلا نجمت من (الطبيعية Naturism) ، أعني عبادة مظاهر الطبيعة ، وهي القول بأن الدين نشأ عن تشخيص (الانسان قوى الطبيعة) ، ومعنى التشخيص ان في الطبيعة أشياء تؤثر في مخيلة الانسان الابتدائي ، ومنها الشمس والقمر والكواكب الاخرى (والزهرة بالنسبة لاربيلا في الدرجة الاولى) فتراءى له هذه الاشياء على صور أشخاص جديرين بالعبادة ، وتسمى هذه النظرية بـ (نظرية الدين التأريخية) • فبروال (الطبيعية) زالت قدسية اربيلا •

ومن اقليم حدياب كان يمر « الطريق السلطاني » ، الذي كان ينقل عليه البريد ، وقد أدهش (هيرودوت) سعاته الفرس • انه الطريق المار من (ساردس) الى (سوسه) قاطعا طول عراق اليوم ، شرقي دجلة • ويقول (سيتن لويد) في كتابه (الرافدان) : « من الممتع أن يلحظ أن ثمة شطرا من الطريق ، بين كركوك واربيل اليوم ، كان ينحو نحو الخط القديم على الدقة ، وان اتجه الى الغرب قليلا ، وان مر أحدهم اليوم عليه وجد سلسلة من التلال التي تمثل القرى والمدن القديمة ، الواقعة عادة في نقاط كان (الطريق السلطاني) يعبر فيها مجرى ما ، أو واديا[٧] •

---

(٦) كان سنحاريب يطلق على عاصمته (الحصن النبيل) ، المدينة التي تحبها الآلهة عشتار •

(٧) راجع :
Setton Lloyd: Twin Rivers. p. 79.

ان طرق الموارد التي تصل شمال العراق بوسطه وجنوبه هذه هي التي حملت حكامه الاقدمين على تجريد الحملات للاستيلاء عليها وضمان سلامتها ، ومن هذا القبيل ما يذكره الاستاذ (وولي) في كتابه الموسوم (السومريون) ـ ص٧٤ ـ من أن فتوحات سرجون الاكدي قد بلغت اربيلا بغية الاستيلاء على روافد الموارد الآتية من الشمال الى وسط العراق وجنوبه ، وورد في الفصل الخامس من (الكتاب) المذكور ، لدى التطرق الى حكم (سلالة اور الثالثة) ان (باتيسي لاكاش) في عهد الملك النابه الشأن (جميل سن : Gimil-Sin) عين حاكما على (اوربيليوم : Urbillum) ، أي اربيل ، التي يذكر انها من مقاطعة باسم (سُبارتو : Subartu) وعلى توابعها من أمثال : (خماسي : Khamasi) و (كانك هر : Gank Har و (كتيبم : Gutebum) و (كارداكا : Kardaka) ، وان اسم الباتيسي هذا هو (اراد ـ ناناز : Arad Nannar) • ويتابع (الاستاذ وولي) حديثه فيتطرق الى الاعسار الذي يجبه من يريد السيطرة على هذه الاقسام القصية الواقعة شرقي دجلة وعلى فوت كبير من (لكاش) ، قلب مملكة سومر في الجنوب من العراق ، لذلك مُني مثل هذا الحاكم المسيطر بالفشل الذي لا معدى عنه ولا محيص •

(٢) ـ حديباب واربيلا ••• في مدوّنات المؤرخين ـ البلدانيين القدامى :

يرد على لسان (هيرودوت) ، عند حديثه عن (اديابين ـ حدياب) : « تضفي هذه المنطقة على ارمينية سعة بالغة تمتد نحو الجنوب ، وبذلك تضم مساحة شاسعة تعتد جزءا من آشور ومادي عادة • وفي هذه المنطقة أربعة من المجاري المتقاطعة ، ومن الضروري عبورها بالقوارب جميعا ، أولهما : دجلة ، والثاني والثالث يحملان الاسم الواحد ، وذلك على الرغم من انهما نهران مختلفان لا ينبعان من محل واحد ، ذلك ان أولهما نابع في ارمينية ، بينا ينبع الثاني من (بلاد الماتيين) ، ورابعهم يدعى (الجنديز : Gyndes) وهو النهر الذي وزع كورش ماءه فحفر ٣٦٠ من القنوات تتفرع منه » •

ويعلق (لين) على ذلك : انهما (الزاب الاعلى) و (الزاب الاسفل) ما الى الشك في ذلك من سبيل ، وهو يريد النهرين اللذين قال عنهما هيرودوت انهما يحملان اسما واحد ، وان كانا مختلفين • ورد على لسان (اميانس مرشلينس ٢٣ ، ٦) : « وغلب اسم النهرين (اديابين : حدياب) على المنطقة التي يرويانها ، ومثل هذا ورد على لسان بوشار (٤[٩] ص : ٢٤٨) • وأيا كان الامر ، فان الزاب الاعلى احتفظ باسمه ، على ما ورد في المدونات الآشورية ، ويسميه زينفون (زاباتس) ايضا (اناباسيس ج ٥ ، ٣ ، ج ٦ ، ٣) و (ديافا) و (ديابا) • ويرى (بوشار) ان (زاب) و (دياب) و (دياف) هو : (ذئب) • أما بطليموس فيخطىء في اسمه على ما ورد في (جغرافيته) • وبصدد منبعي النهرين أصاب هيرودوت كبد الحقيقة حين قال «ان منبعي النهرين مختلفان» ، ذلك ان منبع الزاب الاعلى في ارمينية ،

وهو قريب من بحيرتي (وان) و (اورمية) ، على حين ينبع الزاب الاسفل في جبال كردستان التي يسميها (تلال الماتيين) ، على قرب درجتين الى الجنوب الشرقي .

وعلى لسان (بليني) : « ان دولة الفرس المسماة (فرثية : Parthia) قائمة في أعلى جبال القفقاس ، بين بحرين هما : بحر فارس وبحر هيركان Hyrcanian Sea . وتتصل (سوفيني : Sophene) بارمينية الكبرى الكائنة على المنحدر الامامي باتجاه (كوماجين) ، وتقع (كوماجين) على المنحدرين ، تليها (اديابين : حدياب) .

وتؤلف (اربيليتس : Arbelitis : اربيل) جزءا منها . انهـا (الموضع) الذي غلب فيه (الاسكندر) (دارا) ، وهو يتصل ببلاد آشور ، وكانت هذه البلاد تسمى من قبل المقدونيين جميعا : (مكدونية Mygdonia) وذلك لوجود شبه بينها وبين مقدونية الاوربية ، ومن مدنها (اسكندرية)[٨] و (انطاكية) وتسمى أيضا (نصيبين) . وفي الايام الخوالي كانت ثمة مدينة طبقت شهرتها الخافقين ، قامت على ضفتي دجلة ، متجهة غربيا ، سميت (نينوس: Ninus :نينوى) . ويجاور (اديابين : حدياب) قوم يدعون (كاردوجي : Carduchi) واليوم أصبح اسمهم (كوردويني : Gorduene) . قلنا تعليقا على ذلك : و (بحر هيركان) هو بحر قزوين نفسه ، وقد وصفه (هيرودت) على الوجه الصحيح كبحيرة ، أما (كوردويني) و (كردوجي) فنسترجح انهم أسلاف الاكراد الحاليين .

ثم يمضي (بليني) فيقول : « ان أهم الاقاليم الرئيسة في فارس هو الاقليم المسمى أشور[٩] ... وتقع حدياب التي كانت تسمى قبلا آشور هنا ... انهـا واقعـة بين النهرين الصالحين للملاحة : اونا Ona ودجلـة ، ولا يمكن الوصول اليها في ماء النهر خوضا[١٠] .

وفي الفقرة (٢١) من الفصل (٦) من الكتاب (٢٣) من (مؤلفه)، يقول : « لكننا نذهب الى ان في هذه البلاد نهرين لا ينقطع مجراهما ، وقد سبق لنا عبورهما ، هما (دياباس : Diabas و (اديابـاس : Adiabas) ، وعلى كل منهما جسر من قوارب ، واسم (اديابين : حدياب) مشتق من اسم النهر الآخر » ، ثم يذكر « ... وفي اقليم (اديابين : حدياب) مدينة نينوى، واسمها مشتق من نينس ، وهو ملك قوي من ملوك الازمنة القديمة . انه زوج سميراميس ، ملكة فارس السابقة ، وفي (الاقليم) مدن اخرى منهـا : اربيـلا ، وگوگميلا ، وفيهـا انتصر الاسكندر ، اثر معارك عديدة ، على (دارا) نصرا ساحقا ماحقا . »

وعلى لسان (اريان) يرد ذكر (حدياب) و (اربيلا) أيضا ، انه يقول : « استطاع الاسكندر أن يعبر نهر (ليكوس) ويعسكر عنده لكي يمكّن جنده من جمام قصير ... وعمد الاسكندر ، بعد أن مكن خيالته من راحة استمرت حتى

(٨) لا يعرف شيء عن هـذا الموقع على التحقيق .

(٩) الكتاب ٢٣ ، ٦ : ١٥

(١٠) الكتاب ٢٣ ، ٦ : ٢٠

منتصف الليل الى التقدم تلقاء (اربيلا) آملا القاء القبض على (دارا) فيها ، والاستيلاء على ما عنده من مال وسائر المتاع الملكي[١١] . وفي اليوم التالي وصل (اربيلا) ، بعد أن قطع مسافة ٦٠٠ ستاد من موقع المعركة ، ولما كان (دارا) على الهرب دائبا ، من دون راحة ما ، لذا لم يستطع الاسكندر أن يقف له على اثر في اربيلا ، لكنه استطاع الاستحواذ على ما لديه من مال ومتاع وعلى (عربته الشخصية) للمرة الثانية ، كما عثر الاسكندر على رمح دارا وعلى قوسه .» وفي تعليق (جينوك) على ما يذهب اليه (اريان) يقول : ان (ليكوس) ، الاسم الاغريقي ، هو ترجمة (زابا : الزاب) السرياني ، وعلى معنى (الذئب) . وفي تعليق آخر له : « يقول كريتس ان ما تم الاستيلاء عليه في (اربيلا) بلغ ٤٠٠٠ من الطالنات . »

ويرد ذكر الزاب في (أرض حدياب) على لسان (زينفون) بصدد تراجع الـ ١٠٠٠٠ اغريقي ، اذ يقول :

« وسرعان ماوصلوا نهر (زاباتس : الزاب)، وعرضه ٤ بلثرات ، والزاب نهر معروف جدا ،لن يعوق سيرنا طويلا . انه (ليكوس) ، عند الجغرافيين القدامى لا أستثني منهم الا (بليني) الذي يسميه (دربيس) ، و (مرشلينوس) الذي يخطىء في اسمه فيسميه : (دايا) . والزاب من روافد دجلة الرئيسة ، ويأتيه في بعض فصول السنة بالماء الغمر الذي تفوق كميته ما في المجرى الرئيس نفسه (الكتاب الثاني الفصل الخامس الفقرة الاولى) .

ولقد لاحظنا ان (زينفون) يذكر موضعين على حدود (حدياب) هما : (كينه) و (لاريسه) ولعلهما (آشور) و (نمرود) ، وبعد ان يذكر ان رجال الحملة المنسحبة خاضوا نهر (الزاب الاعلى) مروا من موضع يسميه (زينفون) (مسبيلا) ، وهو على ما نسترجح في موقع (الموصل) ، كما نسترجح ان الاسم مشتق من كلمة آشورية النجار ، يراد بها (مشقالو) ، على معنى (العمق) .

لقد كان رجال الحملة المنسحبة ، اعني الـ ١٠٠٠٠ اغريقي ، يسيرون على ضفة دجلة الشرقية ، أي في أرض حدياب نفسها ، لكن (زينفون) لا يذكر عن (نينوى) العاصمة الآشورية شيئا ، ولعلهم ساروا على الارض التي تكفنها بثراها ، ولم يحيطوا بذلك خبرا ، ولم يكن قد مضى على خرابها اكثر من ٢٠٠ سنة .

ويرد على لسان (استرابون)[١٢] (الكتاب الخامس، الفصل الاول : ٢) : آشور ... عندما يقول مؤرخو الاثيوبية السورية أن الفرس غلبوا الماذيين وجعلوهم رأسا على عقب ، وان

---

(١١) قلنا : قدّر بعض البحاث ما عثر عليه الاسكندر في خزائن دارا بنحو ١٨٠٠٠٠ وزنة من المسكوكات (أي ما يساوي زهاء ٢٫٧٠٠٫٠٠٠ من الدولارات) ، علما بان دارا استطاع أن يهرب من خزائنه نحو ٨٠٠٠ وزنة أيضا .

راجع :
Durant, W. The Story of Civilization. p. 368

(١٢) في كتابه الموسوم بـ (جغرافية استرابون) .

الماذيين غلبوا السوريين[١٣] ، فانهم لا يعنون بالسوريين الذين بنوا القصور الملكية في بابل ونينوى ، وان (نينوس : Ninus) الذى بنى نينوى في سهل (اتوريا : Aturia) كان أحد الملوك السوريين أنفسهم • ان زوجه التي أعقبت في الحكم زوجها وأسّست بابل هي : سميراميس • لقد كان الملوك سادة آسية • ان أعمالا كثيرة لسميراميس ، غير اعمالها في بابل ، متوغلة في كل رجا من أرجاء القارة ، ومنها على سبيل المثال التلال الاصطناعية المسماة (تلال سميراميس) وكذلك الاسوار والحصون ذوات الممرات الارضية ، وجوابي الماء ، والطرق التي تسهّل الانحدار من الجبال • والقنوات التي تصل بالبحيرات والانهار ، كشأن الطرق والجسور •

(٣) لقد خربت مدينة نينوى بمجرد ذهاب ريح السوريين ، لقد كانت أكبر من بابل كثيرا ، وهي تقع في (سهل اتوريا) • وحدود اتوريا عند الامكنة المحيطة باربيلا • وبينهما نهر ليكوس Lycus [١٤] • « ان اربيلا »[١٥] ، وما يحيط بها تعود الى أرض بابل • وفي الديار الواقعة على الجانب الاخر من (نهر ليكوس) تقع سهول اتوريا المحيطة بمدينة نينوى •

وتقع فيها (گوگميلا Gaugamela) وهي قرية هُزم عندها دارا وفقد مملكته • ان هذا (الموقع) مشهور الاسم ، وهو ان ترجم جاء على معنى (بيت الجمل) • لقد اطلق عليه هذا الاسم (دارا بن هشتاب) وكان حبس وارداته للانفاق على جمل عانى كثيرا من الجهد والاعياء في رحلة تخلّلت صحارى (سيثيا : Scythia) حمل خلالها متاع الملك وميرته • ولما شهد المقدونيون انها قرية زرية ، وان اربيلا مستوطن عظيم ، قيل ان بانيه هو (اربيلس بن اثمونيوس (Arbelus son of Athmoneus طيروا الخبر القائل بأن المعركة جرت وأدرك النصر قرب اربيلا ، فتناقل المؤرخون حديثها •

(٤) وبعد اربيلا وجبل نيكاتوريوم Nicatorium [١٦] (وهو اسم اضافه الاسكندر بعد النصر الذي تم في اربيلا) يجيء نهر كابروس[١٧] Caprus وهو يقع على بعد من اربيلا مساوٍ لبعد ليكوس عنها • وتسمى الارضين هنا (ارتاسين : Artacene)[١٨] • وقرب اربيلا تقع مدينة

(١٣) أي السوريين ، تعليق لين في كتابه الموسوم بـ (مشكلات بابلية Babylonian Problems ص٢٤٤ من الاصل الانكليزي •

(١٤) ويسمى أيضا : زابوس وزاباتوس وزيربيس ، وهو الآن الزاب الاعلى : تعليق لين ص ٢٤٥ من كتابه المذكور آنفا •

(١٥) أربيل الحالية •

(١٦) لعله فرع من جبال قره داغ • تعليق لين في الصفحة ٢٤٥ من كتابه •

(١٧) الزاب الصغير او نهر (اور : or) تعليق لين في الصفحة ٢٣٥ من كتابه المذكور •

(١٨) « لما كان الاسم ارتاسين لا يرد في أي مكان آخر فان كروسكرد : Groskurd يحذو حذو (سيلاريوس : Cellarius) ويشك في اننا يجب ان نقرأ هنا (اربيلنى Arbelene) وانه ليفهم منه المنطقة التي يسميها بطليموس (اربيليتس) (جغرافية ٦/١) وبليني (٦/١٣ و ١٦) ، ولما كان هذا الشكل القومي لا يوجد في أي مكان لذا يتراءى انه من غير الصحيح ادخاله في النص • ويستمر كرامر Kramer على القول : انه من الاكثر احتمالا ان (استرابون) كتب (اديابيني) ، واربيليتس جزء منها ، وهي

(ديمتريـاس Demetrias) ، ثم يأتي بعـدها ينبوع النفط ، فالنيران ومعبد الالاهة (انيـا : Anaea) و (سادراسـي Sadracae (قصـر دارا ابـن هشـتاب) ، فالسيباريسّون ، او مزرعة السرو ، الممر الكائن عبر (نهر كبروس) وهو قريب من سلوفيـة وبابل ...

ويرد في (الكتاب الثاني ، الفصل الاول ، الفقرة ٢٤) من (جغرافية استرابون) :

« على هذا النمط العام من الوصف في الباب الثالث يذهب (ايراتوسثينس : Eratosthenes) فيجعل المسـافة بين أبواب قزوين والفـرات ١٠٠٠٠٠ من الستادات وانه ليقسمها على أساس القياسات السابقة التي وجدها محفوظة . وابتداء من النقطة التي يمر الفرات عندها من تفساح (*) Thapsacus ، يحسب المسافة منهـا الى المكان الذي عبر عنـده الاسكندر فيجعله ٢٤٠٠ من الستادات . ويمر الطريق هذا من كوكاميلا(١٩) ونهر ليكوس و (اربيلا) و (اخباتانا) ، واليهـا هرب دارا من كوكاميـلا الى أبواب قزوين ، والمسـافة ١٠٠٠٠ من الستادات ، و٣٠٠ سـتاد فقط لكثير .

ويرد ذكر (اقليم حدياب) وقبله (اربيلا) على لسان (اميانوس مرشلينيس Ammianus Marcellinus) في كتـابه التأريخي : (الكتاب الثـالث والعشرون : الفصل السادس الفقرة : ١٥) :

« ان أهم الاقاليم الرئيسة في فارس ، ذلك الاقليم المسمى آشور ، وهو أقربها الينا وأكثرها نباهة شأن وسعة ، وتنوع ثروة وأشدها خصوبة . لقد كان فيما مضى مقسما بين أناس وقبائل عديدة وهو اليوم معروف باسم واحد ، أعني : بلاد آشور . انها بلاد تكثر فيهـا الفاكهة والغلة ، وتقع في وسـطها بحيرة تدعى (سوسنكيتس : Sosingites) وعلى مقربة منها يوجد القير . وستشرب البحيرة هـذه ماء دجلة حينـا من الزمن . انه يجري تحت قعرها ثم يظهر ثانيـة اثر مسافة طويلة .

وفي (الكتاب الثـالث والعشرون الفصل السادس الفقرة ١٦) يقول :

« وينتج هنا النفط Naphtha وهو مـادة زفتية لزجة تشبه القار ، لو وقف عليهـا طير لشق عليه الطيران مرة اخرى ولمات سريعا . أنها من هذه السوائل التي لو مستها نار لتعذر

عند بليني Loco Citato : تعليق لين في كتابه المذكور ص ٢٤٥ .

(*) أو (تورميدا) قرية آشورية الاصل موقعها ، في محافظة الرقة السورية .

(١٩) كراملس عـلى الراجح . وليس من اليسير تعيين موقعها على التحقيق وهنـاك من يذهب الى انهـا في سهل الكومل خلف جبـل مقلوب . ويذهب (لايرد) الى ان اسم ال (كومل) قديم قدم اسم (كوكاميلا) ، والاسمان ساميا النجار . وكان يطلق على ال (كومل) في العهود الاسـلامية اسم (جومل) وعلى هـذا ورد في (معجم البلدان) اذ وصفه (ياقوت : ١٥٩/٢) :

« ناحيـة من نواحي الموصـل وقنطـرة (جومل) مذكورة في الاخبار » اه . ورافـد ال (كومل) ، يمر اليوم من قرب (اتروش) ويصبّ في نهر ال (خازر) ، وقد جاء سنحاريب بالمياه من ينابيعه في جبل بافيـان واجراها في قنوات اليه .

على الانسان ، بما اوتي من حول وقوة ، اطفاؤها الا بمواراتها بالتراب .»

وفي (الفقرة الـ١٧) يقول :

« ويمكن أن نرى في الاقليم نفسه فجوة في الارض تخرج منها الأبخرة المهلكة . ان كل حيوان يقترب منها ينفق بتأثير رائحتها الكريهة . ان الشر ليتأتى من بئر عميقة ، ولو انتشرت تلكم الرائحة من فم البئر الوسيع وغمرت البلاد الكائنة حولهـــا لتعذر السكن فيها بسبب آثار الرائحة المنتنة ، ما لم تنتشر بعيدا » .

وفي (الفقرة ٢٠) يمضي قائلا :

وتقع هنا (حدياب) التي كانت تسمى قبلا (آشور) ، والعادة المطردة أكسبتها هذا الاسم بحكم الظرف . ذلك انها واقعة بين النهـــرين الصالحين للملاحة أعني نهر اونا Ona ونهـــر دجلة ، لذلك لا يمكن الوصول اليها مخاضة ، وفي الاغريقية كلمة تدل على العبور وهذا ما كان يؤمن به الاقدمون . »

وفي (الفقرة ٢١) يمضي قائلا :

« لكننا نقول : ان في هذه البلاد نهرين لاينقطعان ، وقد سبق لنا عبورهما، انهما (دياباس Diabas) و (حدياباس Adiabas) وعلى كل منهما جسر من زواريق . واسم حـدياب مشتق من اسم النهر الثاني . واشتق اسم مصر من اسم نهرها العظيم ، وكذلك الهنـــد . وفي اقليم حدياب مدينة نينوى ، واسمها مشتق من نينس : Ninus وهو ملك قوي من ملوك الازمنة القديمة وانه لزوج سميراميس ملـكة فارس السابقة . وفي الاقليم مدن اخرى هي : (اخباتانا) و (اربيـلا) و (گوگميلا) ، وفيهـــا انتصر الاسكندر على دارا نصرا ساحقا ماحقا ، اثر معارك ضارية عدة . »

ويرد ذكر (اربيلا) على لسان (كوينتس كرتيس روفس : Quintus Curtius Rufus في كتابه الموسوم بـ (تأريخ حيـاة الاسكندر ورقعة حكمه :

The History of life and Region of Alexander the Great).

ففي الفصلين (١-٢) من (الكتاب الخامس) يقول :

« وسرعان ما سلمت اربيلا الى الاسكندر أخيرا وهي زاخرة بالاثاث والكنوز الملكيةالمؤلفة من خزانات غالية و٤٠٠٠ من الطالنات . لقـــد اودعت ، ها هنا ، نفائس الجيش كله » .

وســرعان ما قوّض الاسكندر معسكره ، وقد تعرض لخطر العدوى، الناجمة عنالمتبخرات من رمم الموتى الملقاة في السهول ... وعنـد بدء مسيرته ... التزم بالسير يسرة . ان طريقه ليمتد فوق أصعدة ... وفي غضون أربعة أيام وصل المدينة المسورة المسماة (ميميم) ، وعـــلى مقربة منها نافورة في كهف تقذف القار بكميات كبيرة . وعلى ذلك فمن المحتمل أن أسوار بابل، وهي صنيع عظيم ، كانت مونتها السمنتية من هذه المادة .

ونلحظ استدراكا : ان (بليني) في كتابـه (التأريخ الطبيعي : Natural History) يذكر في الفصل الـ ١٧ (الفقرة ١٤) :

ويتصل بحدياب الشعب الذى يسمى قديما (كردوجي Carduchi) واليوم (كاردوينى Cordueni) ، « والاكراد »[٢٠] على ما هو شائع يتحدرون منهم •

٣ ـ حدياب واربيلا في صفحات من تأريخ العراق القديم :

تعاقب على حكم (حدياب) وقلبه : (اربيلا) : الآشوريون ، والماديون والاغريق ، والفرث ، والرومان ، والارمن ، فالرومان ، كرة اخرى ، ثم الفرس ، فالعرب •

لقد كان (الاقليم) و (قلبه) على حظ كبير من الرفعة ، ايام الآشوريين ، على ما ذكرنا لكن معركة (نينوى) فيسنة ٦١٢ق•م وسقوطها ، قلبا (الامبراطورية الآشورية العظيمة) رأسا على عقب ، فاستولى الماديون عليها ، وعلى عاصمتها الدينية : اربيلا ، لكن قدسية المدينة ضمنت لها البقاء ، على ما ذكرنا ، وخلصتها من يد الدمار• وهكذا دخل الاقليم و (قلبه) في حوزة الماذيين ، والدولة الماذية بعد تحطيم الدولة الآشورية اصبحت رابع دولة كبرى في الشرق : (مصر الفرعونية) و (بابل الحديثة) و (ليدية)• لقد كان (كي اخسار) اعظم ملوكها ، وما ان مات الا تدهورت انبراطوريته فدخل الاقليم و (قلبه) في حكم الفرس الاخمينيين • ويلمع اسم الاقليم و (قلبه) عند ختام حكم الاخمينيين، واعني عند ذكر معركة كوكاميلا[٢١] (١ تشرين الاول سنة ٣٣١ ق•م) التي جعلته و (قلبه) تحت حكم الاغريق • ان هذه المعركة فتحت للاسكندر طريق الهند ، كما فتحت معركة (ايسس) ، قبل سنتين ، طريقه الى سورية ومصر• كانت كوكاميلا واقعة غربي نهر(الخازر) والى الشمال الغربى من اربيل بنحو ٢٠ ميلا • ومن يسمي المعركة (بمعركة اربيلا) يذهب بفكره الى جلب الاسكندر الغنائم الكبيرة اليها ،

---

(٢٠) كان الكرد يعرفون لدى السومريين باسم : (كوتي ، جوتي ، جودي) ولدى الآشوريين والآراميين (كوتي ، وكورتى ، كارتى ، وكادو ، وكارداكا ، وكاردان ، وكاركتان ، وكاردك) •

ولدى الايرانيين معروفين باسم (كورتيوى ، سيرتي ، وكوردرها) •

وكان الكرد لدى اليونان والرومان معروفين باسم (كاردوسوى ، كاردوخي ، وكاردوك ، وكردوكي ، كردوخي ، وكاردويكان) •

وكان الكرد لدى الارمن معروفين باسم (كوردوين، كورجيخ، كورتيخ، خرخي كورخي)•

وكان الكرد معروفين لدى العرب باسم (كردي ، كاردوى ، باكاردا ، كارتاويه ، جوردي ، جودي) •

ويقول الاستاذ المرحوم امين زكي : « وليس هذا هو رأيي وحدي ، بل انه رأي كثير من المستشرقين والاخصائيين من أمثال المستر دريفو ، ونولدكه ، وهاوفمان •

راجع :

(خلاصة تاريخ الكرد وكردستان
من أقدم العصور التأريخية حتى الآن)

الجزء الاول

تأليف محمد أمين زكي وترجمة محمد علي عونى ص ٧٥ ـ ٧٦

ويلحظ ان أول ذكر لـ (كاردوخي) ورد في رحلة الـ ١٠٠٠٠ اغريقي (زينفون) وما كان احد قد سمع بهذا الاسم من قبل •

(٢١) يقول (سيتن لويد) في كتابه (الرافدان ص ٩٢) : انها كانت على التحقيق على ضفتي النهر المسمى (كوميل صو) •

بعد دحره دارا ، ولان النصر تم بالاستيلاء على (اربيلا) المدينة ذات الخطر العظيم في الاقليم • كان جيش دارا ذا عدة تبلغ المليون ، ومعهم ١٠٠ عجلة تحصد الارواح بالمناجل • وكانت عدة خيالته ، وحدها ، تزيد على جيش الاسكندر كله (وجيش الاسكندر كان مؤلفا من ٤٠ الف جندي من المشاة و ٧٠٠٠ من الخيالة) « فكان المقدونيون معرضين الى حركة التفاف مفاجئة او الهجوم عليهم من (المؤخرة) » ولذلك فان خطط الاسكندر التعبوية ، تجاه هذه الصعوبة ، حرية بالدرس والملاحظة • فبعد أن انف من تبييت عدوه ، رتب جيوشه في الصباح، واضعا (بارمينيو) والخيالة على الميسرة ، والصفوف في القلب ، ووضع على الميمنة المشاة المسلحين تسليحا ثقيلا ، ووضع جندا من صنف كل من الميمنة والميسرة خلف ذلك بصورة منحرفة اتقاء حركة التفاف العدو • وبدأت المعركة بتعرض جيش الاسكندر الى حركة التفاف من ميسرة جيش العدو • فحمل الاسكندر تجاه ذلك بهيئة مائلة الى اليمين واستمر في نقل كتائبه وصفوفه الثقيلة في الاتجاه نفسه • فامر (دارا) بهجوم على جناح الاسكندر ليصدهم ، لكن نبالة الاسكندر اسقطوا الخيول والسواق فانفتحت كتائب المشاة ، وقد أحدثت العربات ثغرة في جناح الفرس الايسر اقتحمها الاسكندر على رأس خيالته شاطرا صف الفرس شطرين ، وزحفت الصفوف زحفا عنيفا على قلب جيش دارا فقد الملك الفارسي صوابه فادار عربته وولى هاربا[١١] •

« ويبدو ان الهلع اخذ من (دارا) للماخذ فحاول تسويه الامر بينه وبين الاسكندر على الشروط التالية :

١ ـ انهاء الحرب بين الامبراطوريتين وجعل الفرات بينهما حدا فاصلا •

٢ ـ ان يقدم دارا للاسكندر ٣٠٫٠٠٠ وزنة من النقد الفضة •

٣ ـ يزوج ابنته من الاسكندر • وذلك بقصد (حصول المناصرة بحكم المصاهرة) •

٤ ـ يبقى ابنه رهينة عنده لقاء اطلاق سراح امه وابنته (وقد قضت زوجة دارا نحبها ، وهي أسيرة عند الاسكندر فقام بتشييعها ودفنها باحتفال مهيب •)

٥ ـ ان يتقاسما الحكم باعتداد الاسكندر صهره ، زوج ابنته •

الا ان الاسكندر رفض هذه الشروط ، باعتداد ان النصر كان على طرف الثمام من يديه، والمنتصر يريد النصر المبين من دون قيد وشرط[٢٣] •

---

(٢٢) مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة جـ٢ (طه باقر) ص ٤٤٥ •

(٢٣) يقول (سيتن لويد) في كتابه (الرافدان ص ٩٣) :

« وعاد الاسكندر الى مطاردة دارا ولكن ذلك كان من غير جدوى • والظاهر ان السرعة التي الحقها هيرودوت بالمراسلين الفرس لم يكن يفوقها الا سرعة الملوك الفرس في الهروب ، اذ ما ان وصل اربيلا صباح اليوم التالي الا كان الركب الملكي قد جاوز الـ (كلي) في طريقه الى (رواندوز) والجبال .... وكان ان اودع الاسكندر غنائمه ، وبما انه تعرّض لخطر عدوى ناجمة من تفوح جثث الموتى المتناثرة في السهل كله لذلك اتجه تلقاء بابل » •

وبعد أن لبث الاسكندر لأيا من الوقت في اربيلا انحدر الى بابل ليكمل فتح العراق ، وما بعد العراق •

ومن بعد الاسكندر خضعت حديباب و (اربيلا) الى الحكم السلوقي ، كسائر أقاليم العراق ، ودام هذا (الحكم) من سنة ٣١٢ الى سنة ١٣٥ ق•م ، ولقد كانت لخلفاء الاسكندر في العراق (السلوقيين) هيمنة كافية على (الاقليم) ، لكن (الفرث الارشاقيين) كانوا ينظرون الى (اربيلا) بعين القدسية ، وكان ان استطاع (مثريدات) ، وهو عاهل فرثي ، ان يتغلب على آخر السلوقيين ويستحوذ على (حدياب) و (اربيلا) ، بلاد آشور القديمة ، واصبح (الاقليم) تحت حكم الفرث يديره (ملك صغير : فيتاكسا) •

وفي سنة ٨٣ للميلاد استحوذت ارمينية على حدياب وعلى (اربيلا) نفسها ، وأصبح (الاقليم) تحت حكم (تيكران الاول) الذى استمتع بسلطان عظيم حينا من الدهر ، لكنه طرد بعد ١٠ سنوات ، حين عقد الفرث والرومان الخناصر على هذا العصامي المتغطرس ، ودخل في الحكم الفرثي ـ الروماني • وكان الرومان يرنون الى (الاقليم) لكن اميرا فرثيا منفيا في رومة يدعى (مهردات) سعى اليه ، في سنة ٤٩ق•م ، فوصل نينوى ومنها الى (اربيلا) ، وكان الحكم في (الاقليم) قد انتقل الى طاغية مغتصب يدعى (غوداز) ، وكان ان التقى به قرب (اربيلا) وجرت بينهما معركة طويلة انحدر بنتيجتها (مهردات) ، وكان السبب في انحداره تخلى خلفائه عنه ، ومنهم (ازات) حاكم اقليم حدياب •

وبعد ١٣ سنة أي في سنة ٦٢ للميلاد سعى (تيكران الخامس) ملك ارمينية المعين من قبل الامبراطور (نيرون) الى غزوها يحدوه على ذلك غناء (حدياب) وغياب الملك الفرثي : (ولغاش الخامس) • لقد ازعج الناس التاعسين كثيرا ، فارسلوا الى (ولغاش) يهددون وينذرون بالويل والثبور ، وبالحصول على السلم لانفسهم ، واعلان الولاء لرومة • وكان جواب الملك الفرثي فوريا اذ اعلن الحرب على ارمينية ورومة معا ، وعين (مانوباز) ، ملك حدياب ، قائدا على جيش استطاع ان يطرد (تيكران) ويغزو بلاده ايضا •

ومنذ هذا الوقت عينه غدت (حدياب) سببا في النزاع ، ففي سنة ١١٥ للميلاد احتل الامبراطور (تراجان) الاقليم ، اثر مقاومة باسلة ، وكان (تراجان) يحاول تقليد الاسكندر في جميع أعماله • وقد بدأ (تراجان) حملته من انطاكية (١١٥م) وحمل القوارب التي صنعها في (نصيبين) الى (جزيرة ابن عمر) • وكان ان نجح في عبور دجلة اثر مقاومة ما ، ثم وصل الى قرب الموصل ، واستطاع ان يضم اقليم (حدياب) الى امبراطوريته كما فعل الاسكندر من قبل • ومات (تراجان) في حملته على العراق ، وخلفه (هدريان) الذي لم يستطع

قلنا : ولا تنس ان اربيل ، على ما يظهر ، كانت تعتدّ الى حدّما « مدينة الموتى » على ما وصفها جيبون في كتابه الموسوم بـ :
Gibbon, E. "Decline & Fall of the Roman Empire."

الحفاظ على (الاقليم) فأخلاه بعد سنتين وسلمه الى الفرث وتراجع الى ما وراء الفرات .

واهاب الطموح المتأجج في نفس (سفيروس)، وهو من أعاظم الأباطرة الرومان المتأخرين ، وشهوة الثأر من الحدياديين ، الذين خلقوا له متاعب جمة عن طريق مساعدة الدول في الوقوف بوجهه ، الى مهاجمتهم ، لكن (ولغاش) استطاع طرده في سنة (١٩٦م) . وقام (سفيروس) بمحاولة أخرى ، بعد سنة او نحو سنة ، فاستطاع ان يلحق (حدياب) بالامبراطورية الرومانية هذه المرة ، واتخذ لقب (اديابنيسوس) أي (صاحب حدياب) ، وكان قد اتخذه من قبل سنة ١٩٣ مبتسرا .

وفي ايام الحكم الرومانى عانت (حدياب) و (اربيلا) من اعتداء فاضح مدنس للحرمات ، وكان ذلك على يد السفاح الفاتك (كاراكلس : كراكاله) ، اذ ما أن عاد هذا من حملة على بابل الى (اربيلا) الا انتهك فيها حرمة المقابر الفرثية فاخرج الجثث منها ورماها بعيدا (٢١٦ للميلاد) . لذلك اغتاله الفرث ، على الرغم من ضعفهم . وخلف (كراكاله بن سفيروس) المدعو (ماكرينوس) ، وجرى بينه وبين آخر ملوك الفرث (ارطبان الرابع) تصالح ، وعقدت معاهدة بين الطرفين التزم بها (مكرينوس) بدفع ما يساوي ١ر٥ مليون من الدنانير ، تعويضا عن استباحة مقابر الملوك الفرث في اربيل .

ثم جاء دور الفرس (الساسانيين) ، فاستطاع ملكهم (ارتحششتا : اردشير) أن ينضافر ويتناصر مع ملوك آخرين منهم (شهراق : ملك حدياب) فيمسك بسلك الفرث المدعو (ارطبان الخامس) ، ويقضي على حكم الرومان والفرث معا .

وفي ايام الساسانيين قامت عدة دويلات في اقليم حدياب ، ولمعت اسماء عدد من الحكام ، منهم حاكم حدياب المسمى (كوبراشنسب : ٢٧٦ - ٢٩٣) ، وهو الذى خلع طاعة (الملك نرهان الثالث) لكن القائد (زوهسب) استطاع أن يمسك به بحيلة اصطنعها ، فأخذه الى (طيسفون) حيث اجهز عليه بسلخه حيا ، وقتله صبرا . ومنهم : (قردك) ، وهو الذي شق عصا الطاعة على (شابور الثاني) فحوصر فى قصره فاستمات في الدفاع حتى قتل ، وكان ذلك سنة ٣٥٩ م .

وتحت حكم الساسانيين الزرادشتية خطت النصرانية خطوات كبيرة ، الى الامام ، وحباها ملوكها بالحماية والتشجيع ، لذلك غدت حدياب في سنة ٥٠٠ للميلاد مستقرا لـ (مطرانية) كلدانية تضم الموصل واربيل - وحيث زالت عبادة عشتار بعد أن بقيت لمدة ٢٠٠٠ سنة معبودة ، ومركز عبادتها الرئيس فيها - .

وعاش في اربيل جماعة من الكتاب النصارى ألّف أحدهم (مشيحا زخا) كتابا تأريخيا باللغة السريانية عرف بـ (تأريخ اربيل) ، ونرجح انه عاش في منتصف القرن السادس للميلاد .

وبقي اقليم حدياب ، وقلبه اربيلا ، تحت حكم الفرس الساسانيين الى ان انقرضت دولتهم بالفتح العربي - الاسلامي سنة ٦٣٢م ، وتم الاستيلاء على الاقليم و (قلبه) فدخلا في دين

الاسلام الحنيف •

ويلمع اسم الاقليم في معركة الزاب[٢٤] الحاسمة التي ختمت صفحة بني امية ، وفتحت صفحة بني العباس في حكم العراق وسائر أرجاء دولة العروبة والاسلام • ويحدثنا المسعودي حديث (المعركة) اذ يقول :

وذكر (المدائني) و (العتبي) وغيرهما ان مروان حين نزل على الزاب جرد من رجاله ، ومن اختاره من سائر جيشه من أهل الشام ، والجزيرة وغيرهم : مائة ألف فارس على مائة الف قارح •

فلما كان يوم الوقعة واشرف (عبدالله بن علي) في (المسوّدة) ، وفي أوائلهم البنود السود يحملها الرجال على الجمال البحت ، وقد جعلت اقتابها من خشب الصفصاف والغرب ، قال مروان لمن قرب منه : اما ترون رماحهم كأنها النخل غلظا ؟ اما ترون الى اعلامهم فوق هذه الابل كأنها قطع من الغمام الاسود ؟

فبينما هو كذلك اذ طار من افرجة هنالك قطة من الغرابيب سود ، فاجتمعت على أول رايات عبدالله بن علي ، واتصل سوادها بسواد تلك الرايات والبنود ومروان ينظر •

فتطيّر من ذلك فقال : أما ترون السواد قد اتصل بالسواد ؟ وكأن الغرابيب كالسحب سوادا •

ثم نظر الى اصحابه المحاربين وقد استشعروا الجزع والفشل فقال انها لعدة ، وما تنفع العدة اذا انقضت المدة[٢٥] •

ونزيد البحث تفصيلا عن موقعة الزاب ، التي شهدتها (حدياب) ، واعتدّت من الوقائع ذوات الخطر في تاريخ الاسلام ، لانها معلمة فيه ، تحدد ذهاب الدولة الاموية ومجيء الدولة العباسية ، ولكل من الدولتين طابعها المميّز ، فنقول :

بعد سقوط (نهاوند) ـ (في ذي القعدة سنة ١٣١ للهجرة) ـ بعث (قحطبة ابا العون) عبدالملك بن يزيد الازدي الى (شهرزور)[٢٦] ، واثر معركة حاسمة فيه (٢٠ من ذي الحجة سنة ١٣١ للهجرة ـ ١٠ آب سنة ٧٤٩) طرد منه الجيش الشامي واستقر في المنطقة التابعة للموصل ، الكائنة على الجهة الشمالية من دجلة•

وهنا اخذ زمام القيادة عبدالله بن علي العباسي•

وتقدم الخليفة الاموي : مروان بن محمد من (حرّان) وعبر دجلة لمقابلة جيش العباسيين والتحمت معركة بين الطرفين على الشاطىء الغربي من الزاب الاكبر ـ على ما ذكرنا ـ وقد بدأت في الثاني من جمادى الثانية سنة ١٣٢ للهجرة وانتهت في يوم السبت الحادى عشر من جمادى الثانية (الاحد ٢٥ كانون الثاني) بهزيمة مروان هزيمة ساحقة ماحقة •

ويقدر (تيوفان) : ان عدة جيش مروان

---

(٢٤) قال ياقوت : ويوم الزاب بين مروان الحمار بن محمد وبني العباس كان على الزاب الاعلى بين الموصل وأربل •

(٢٥) مروج الذهب ومعادن الجوهر : المسعودي ج ٢ : ١٩٧ •

(٢٦) كورة شهرزور اليوم جزء من محافظة السليمانية الحالي ، ويرى بعضهم ان (تل بكراوة) قرب (هەلەبجه : حلبجة) يمثل مدينة شهرزور ، وآخرون يذهبون الى ان مركزه في الخرائب القريبة من (خورمال) •

قدرت بـ (٣٠٠٠٠٠) مقاتل ، كما يضيف الى ذلك ان الالوف منهم كانت تهرب امام الالف ، وان عشرات الالوف كانت تهرب امام الالفين ، وان هذه النسب ، وهي غير متكافئة ، كانت تظهر في مواضع أخر .

وثمة رواية للمدائني تقول : ان مروان لم يكن لديه الا ١٢٠٠٠ من المقاتلة .

ويقول : (يوليوس ولهاوزن)[٢٧] :

كانت الكفة في جانبه ، اول الامر ، وسبب سوء العقبى ، الى حد ما ، ان (قيسا) لم تبغ القيام باكثر مما قامت به قضاعة . اضف الى ذلك ان جيش الخراسانيين كان ، من دون شك ، قد عقد العزم على ادراك النصر المبين وكسب المعركة . على حين كانت الثقة قد تلاشت من قلوب العرب فما كانوا يريدون ان يكونوا الضحية في المعركة . وعمد مروان الى بذل المال ، ووعدهم بمقاسمته ان قاتلوا بايد وشجاعة ، لكنهم تهالكوا تهالك رجل واحد عليه ، ولاذوا بالفرار بعد الحصول عليه .

وكان ان قطع الجسر فكان كثير من الذين ولّوا فرارا من المغرقين في الزاب .

وكان ان انسحب مروان وعبر دجلة الى حرّان حيث لبث فيها لأيا من الزمن ، ومن حرّان اتخذ السبيل ، عن طريق قنسرين ، الى حمص ، فدمشق ، فحصن (ابي فطرس) على مقربة من (يافا) حيث استجار برجل من جذامة ، من بني روح بن زنباع ، وكانت سطوة بني امية قد زالت وذهب الحكم الاموي .

ومن حصن (ابي فطرس) فرّ الى ميناء الفرما المصري ، وكان مطاردوه يسيرون في اعقابه . انهم من الخراسانيين ، وعلى رأسهم عبدالله بن علي العباسي . وسار هذا عن طريق الموصل وحران ومنبج ، وقنسرين وبعلبك وعين الجر ، الى (المزة) حيث اقام معسكره ، وكانت المدن السورية تستسلم للقائد المنتصر ، الواحدة تلو الاخرى ، ولم تصمد الا دمشق ، حيث كان عليها صهر مروان : الوليد بن معاوية بن معاوية الاول . وكان ان وثب اهل دمشق على واليهم وقتلوه وفتحوا ابوابها للفاتحين بقيادة عبدالله بن علي (١٤ رمضان = ٢٦ نيسان ٧٥٠م) .

اما نهاية مروان فقد كانت بمقتله في (بوصير) على يد احد مطارديه وذلك في نهاية عام ١٣٢ للهجرة = بداية شهر آب ١٧٥[٢٨] .

٤ ـ عشتار ... اربيلا :

عشتار[٢٩] أعظم الالاهات في الديانات القديمة طرا ،

---

(٢٧) Julius Wellhausen: Das Arabische und sein sturtz.

(٢٨) راجع الاغاني ٤ : ٩٢ ، المسعودي ٦/٧٦ ابن الاثير ٥/٣٢٦ .

(٢٩) يمثلها في (المجموعة الشمسية) :كوكب الزهرة ، والزهرة Venus هي السيارة الثانية من ناحية الشمس ، تدور بين فلكي (عطارد) و (الارض) ويتراوح بعدها عن الشمس بين ٦٦٫٧٠٠٫٠٠٠ و ٦٧٫٦٠٠٫٠٠٠ من الاميال . ان مدارها دائري تقريبا ، وبه لها الفوق على سائر سيارات (المجموعة الشمسية) . وتقطع دورتها حول الشمس بـ (٢٢٤٫٧) من الايام . وتعتد في الاحيان (توأم) الارض لانها تشبهها في كثير من الخواص، وهي تدور على مستوى مدار الارض ومنازلها تشبه منازل القمر . تتراءى دوما وضيئة مضيئة ، وتسمّى عند انفجار النهار

لعبت دورا ذا خطر في حياة شعوب آسية الغربية، وباكثر من الدور الذي لعبته (الشمس) ولعبه (القمر) ، باعتدادهما من الالهة ، ولا يغرب عن البال ان سكان العراق القدامى اعتدوا القمر اقدمها وانه ابو (الشمس) والزهرة (عشتار) ، كما شيّدت لها معابد كثيرة من قبل الشعوب القديمة ، واستطالت عبادتها امدا طويلا في ديانات سكان العراق القدامى وكان لها المقام الاسنى ، ومن العراق انتشرت عبادتها الى ارجاء الشرق الادنى الاخرى ، وغيره :

كانت عند (السومريين) : « سيدة السماء » (اينّنا Enanna) أو (ايننيّ) •

وعند (الاكديين) و (الآشوريين الساميين) : (عشتار) •

وعند الاقوام السامية الاخرى هي : (عشتاروت) و (عشتوريت Ashtoreth) •

وعند (السريان) هي : (عتر : Atar) •

وعند (الكنعانيين) ، صنولها وند ، هو : (بعلة) و (عناة) و (عاناة) •

وقدّسها (الفينيقيون) وانتشرت عبادتها في (جبيل) وخصصوا موقع الفاجعة التي حلت بـ (دموزى ـ تموز ـ ادونيس) ، على ما سيأتي بيانه ، عند (نهر ابراهيم) ، وأطلقوا عليها اسم (عشتار بريتّة) ، أو (سيدة جبيل) ، وخصصوا لها معبدا شاهده بعض كتاب الرومان من أمثال (لوسيان) في حدود سنة ١٤٨م ، وهو الذي وصف طقوس عبادتها وشعائره •

غيّر (الحيثيون) اسمها الى (اتير كاتيس : Atergatis) ، وهو اسم اغريقي ، وكان معبدها في عاصمتهم (قرقميش) قائما •

وكان عند الاراميين الاله (حدد) وزوجه هي (اتيركاتيس) نفسها والتي نعتت بالالاهة السورية ، ونقشت صورتها على النقود بصحبة أسد ، على غرار (عشتار البابلية) ، واتخذوا لها رمزا مؤلفا من (الهلال) و (قرص الشمس) •

وعبدت (عشتار) في (عسقلون : عسقلان) من (فلسطين) ، وان تمركز عبادتها في (صيدا) رفع من شأن هذه المدينة ، وذكرها كثيرا ، كما جعلتها (عاصمة دينية) حتى غدا أهل صيدا يمثلون الفينيقيين طرا[٣٠] •

ورفع لها (الآشوريون) ذكرا أيضا فكان هناك (معبد عشتار) في نينوى ، وآخر في (اربيلا)، و (عشتار اربيلا) اختصت بأنها مصدر النصر في المعركة تشد من أزر المحارب فيها ، على حين اختصت (عشتار نينوى) بالحب والترف ، وكان يخيّل لبعض ملوك الآشوريين انها تسير في طليعة جيوشهم وانها السبب في أي نصر يدرك •

وهنا نستطرد ، على مقتضى الحال ، فنقول: ان هذا « المعتقد » كان شائعا عند القبائل العربية القديمة أيضا ، أعني : ان أصنامها كانت تحارب معها وتساعدها على ادراك النصر في القتال دوما • وفي الشعر الجاهلي امثلة تدل على ذلك : ففي

ب (نجمة الصبح) وعند المساء بـ (نجمة المساء) ولتألقها شغف بها أهل الارض قديما وحديثا فكانت آلهة عند القدامى وتغنّى بها الشعراء دوما ، كما حفلت الاساطير بذكرها ، راجع :
Encyclopaedia International, Venus

(٣٠) راجع :
Encyclopaedia of Social Sciences Religion

الحرب التي استعرّت بين (بني انعم) وبين (بني غطيف) ، بشأن الصنم (يغوث) قال الشاعر :

وسار بنا (يغوث) الى مراد
فناجزناهم قبل الصباح[٣١]

وطبيعي ان يعتدّ اعداء القبيلة اعداء صنمها ، والعكس صحيح ايضا ، وكانت العرب القدامى ـ على غرار اعتقاد الاشوريين بـ (عشتار) ـ تعتقد ان (اله القبيلة ـ صنمها) يكون ابّان اقتتالها مع قبيلة اخرى في عداد المحاربين ، وانه يبذل ما في وسعه للدفاع عنها وتمكينها من النصر المبين . وهذا يسوق القول الى ان عبادة الكواكب عند العرب الجنوبيين في الجزيرة كانت هي الاعم الاشيع من بين سائر العبادات . وكانت آلهتهم تُردّ الى ثالوث : الشمس ، والقمر ، والزهرة . ولعلّ اللات الواردة في القرآن الكريم ، ترمز الى الشمس ، وعند القبائل القاطنة في شمال الجزيرة كان يشار اليها بـ (هالت) وبـ (الى ات) أي : (اللات) ، ومعناها (الالاهة : الشمس) . واسم (الزهرة) في (لغة حمير) (يَلمقه) و (ألمق) والصلة بين (تألق) وبين هذين (الاسمين) واضحة ، ومرد ذلك الى شدة لمعان (الزُهرة) وتألقها . ولا يفوتنا ان نذكر ان معنى (عشرتو) الاشورية ، البابلية ، ومنها (عشتار) : شرق واشراق ايضا .

وثمة ملحظ بشأن (الزهرة ـ عشتار) : هو انها كانت ، عند العرب الجنوبيين ، (ذكرا) على حين كانت عند العرب الجنوبيين (انثى) . والظاهر ان اهل الحيرة كانوا يتعبدون (الزهرة) ويقدمون لها القرابين البشرية ، في الاحيان . وروى ان الملك (المنذر) قدم لها عددا من الراهبات الاسيرات قربانا الى صنمها ، ويذكر (بروكوبيوس) انه ذبح احد ابناء خصمه (الحارث) حين وقع بيده اسيرا ، وقدمه الى الالاهة : (الزهرة ـ عشتار ـ افروديت) .

ويجب الا ننسى ان الحيرة كانت قريبة من ارض بابل وآشور التي شاعت فيها عبادة (عشتار ـ الزهرة) .

وكان يطلق على اله (اهل الرها) : عزيزوز : Azisos ، وذهب بعض البحاث الى انه (الزهرة ـ العزّى) . وورد في مدونة يونانية وصف هذا الاله « الجميل اللماع ذي الاشعة البراقة اللامعة لمعان البسفور[٣٢] » ، و (الاله الرؤوف الرحيم) على ما ورد في نص تدمري . ان الشبه ظاهر بين الاسمين (عزيزوز) و (العزّى) ، وبين صفات (الزهرة) وصفات (الاله عزيزوز) على ما وردت .

ولجمال الالاهة (الزهرة ـ العزّى) اعتادت العرب القدامى ان تضحي باجمل من يقع في ايديها اسيرا الى الالاهة الجميلة ، ويكون ذلك عند بزوغها . وعلى سبيل المثال نقول : ان (نيلوس Nilus) يذكر ان ابنه (تيودولوس : Theodolus) وقع ذات مرة ، في نحو سنة ٤٠٠م ، بيد الاعراب اسيراً فارادوا ، جريا على

---

(٣١) ياقوت ٨/٥١١ .

(٣٢) راجع :
Encyclop. of Religion 9:594.

عرفهم التقليدي ، تقديمه الى (الالاهة) قربانا ، غير ان وقت التضحية كان قد انقضى ومضى فاكتفى آسروه ببيعه في سوق الرقيق عبدا ، وكان ان استقر في مدينة (الوسة : Elusa وانخرط في السلك الكهنوتي حتى غدا على البليدة هذه اسقفا(٣٣) .

وجمال الزهرة ومظهرها الخلاب الجذاب هو الذي جعلها في عرف العرب الجنوبيين الديني (بنت الشمس والقمر) .

ومن مظاهر اكبار البابليين لها ولعبادتها انهم شيّدوا لها (باب عشتار) العظيم الشهير في بابل . ومن القصص الاسلامي ذي الاصل البابلي ما اتصل بـ (الزهرة) و (بابل) ذلك ان (هاروت) و (ماروت) الملكين اللذين كانا مطيعين اهبطا الى الارض ليجربا الغواية والفتنة فيها ، وكان ان لبثا في الارض ، لأيا من الزمن ، حتى عرضت لهما (الزهرة) ففتنتهما وشربا الخمرة ، وكان ان مُسخت الزهرة كوكبا .

وفي الديانة الفارسية القديمة (اناهيد ، اناهينو: Anahitu) الاهة الخصب والانتاج ، صنو عشتار، وقد اعترف بها الملك الاخميني ارتحششتا، وصنع لها صنما .

قلنا : ان الاشوريين كانوا يعلون من شأن (عشتار) علوا كبيرا ، وانهم كانوا يردون اليها سبب انتصاراتهم العسكرية التي دوّخت عالم التاريخ القديم ، لذلك كان (الاسد) ، اشجع واقوى الوحوش طرا ، يقرن بها ، ولهذا نعتت عندهم بـ (اللبوة) ايضا . وما من شك في ان « عبادة عشتار » ، وتقديسها ، لا يمكن ان تكون ، لدى البابليين ، والآشوريين أيضا ، الا امتدادا لعبادتها وتقديسها عند السومريين . لقد عرفها السومريون باسم (انا) وجعلوها (ملكة السماء) واقاموا عرشها فيها . ومن هنا انبثقت (اسطورة) نزولها من السماء الى الارض حيث تحكم اختها (ايرش كيخال) ، وهي (اسطورة) ذاعت وشاعت لدى سكان العراق القدامى جميعا، انها تمثل ، على ما يذهب اليه (كريمر) ، الرغبة في توحيد العالمين : العلوي والسفلي .

واستطرادا نقول : ان (الكون) كان يتمثل في خاطر سكان العراق الاقدمين ، وعلى ما ورد في اساطيرهم ، مؤلفا من اربع طبقات :

١ ـ السماء العليا

٢ ـ ما بين « السماء العليا » والارض .

٣ ـ الارض الظاهرة .

٤ ـ الارض الباطنة ، مستقر ارواح الموتى ، يحكمها (نرجال) وزوجه (ايرش كيخال) ، اخت (انا ـ عشتار) . وتساعد (ملكة الارض السفلى) مجموعة من الالهة الصغيرة ، ونفر من الشياطين والجان .

وبايجاز نروي (اسطورة) نزول (انا ـ عشتار) الى الارض فنقول : انها وعزت الى وزيرها المسمى (ننشوبر) بان يرقب ، بعين الديدبان ، عودتها من مرحلتها الى الارض لمدة ثلاثة أيام ، فان مضت ، ولم تعد ، وجب عليه اقامة (مجلس العزاء) ، ثم عليه ان يتخذ السبيل الى حيث الالهة الثلاثة العظام : (١) انليل : اله نفّر و (٢) نا : الاله القمر في اور ، و

(٣٣) Encyclop. of Religion 6:853.

(٣) انكي : اله الحكمة السومرية في اريدو ، ليستعطفهم في أمر ارجاعها الى السماء، كيلا تقضي نحبها بعيدة عن مملكتها وعرشها. ثم ان (انتا ـ عشتار ، ملكة السماء) تعمد الى حليها الملوكية وتتزين بها وتتخذ السبيل الى العالم الارضي نزولا . وما ان تقريت منه الا تحداها حراس ابوابه ، وعدتهم : ٧ . وبايعاز من ملكته ، واختها (ايرش كيخال)، تؤخذ منها حلية واحدة عند كل باب ، وذلك تنفيذا لقوانين العالم الارضي . ثم ان (ملكة السماء) تبلغ مستقر (ملكة الارض) ، وحكام العالم الارضي ، وعدتهم : ٧ ايضا . وسرعان ما يعمد هؤلاء الى تسليط (عيون الموت) على (الملكة القادمة) فتغدو جثة هامدة، ويجرى بعد ذلك تعليقها على اسفين . ومرت الايام الثلاثة على من في العالم العلوي ولم تعد (ملكته) لذا أخذ القلق يساور مَنْ فيه . وتنفيذا لوصيتها عمد هذا الى الذهاب الى كل من الالهين (انليل) و (انتا) وطلب منهما التوسط في اعادة (ملكة السماء) الى مستقرها وعرشها .

الا انهما ابيا ذلك ، غير ان الاله الثالث (انكي) استجاب وعمد الى بعض الحيل السحرية التي اعادت الحياة الى (انتا ـ عشتار ـ ملكة السماء)، كما انه خلق من وضر اصابعه مخلوقين عجيبين ورد اسمهما في (الاسطورة) : « كولكرو » (كالاترو) ، ومعناهما غامض لا يستبان . ثم انه عمد الى ارسالهما الى العالم السفلي مزودين بماء الحياة وطعامها ، طالبا منهما بأن يرشا (الماء) على جثمان (ملكة السماء) المزجى ، سنين مرة، وما ان فعلا ذلك الا عادت الحياة اليها. وتمضي (الاسطورة) قائلة : ان قانون العالم السفلي يقضي بأنه لايمكن لاي كائن فيه ان يغادره ما لم يخلف فيه نظيرا ، او بديلا . وكان ان شرعت (انتا ـ عشتار ـ ملكة السماء) ترقى في السماء صُعُدا بصحبة نفر من الجان . انهم الذين صحبوها ابان نزولها من العالم العلوي ، وهم الذين سيوكل اليهم اصطحاب النظير او البديل المطلوب . وكان ان اصطُفي (النظير) أو (البديل) هذا في شخص الوزير (ننشوبر) . ويلحظ من سياق (الاسطورة) ان (الملكة) ، واحراسها ، يردون مدينة (اراك) ، حيث زوجها (تموز ـ دمّوزي) ، ولما كان هذا الزوج لم يقدم فروض الطاعة والتبجيل اليها لذا كان جزاؤه ان يحمل من قبل الجان الى العالم السفلي . وهنا يعمد (الزوج) الى التوسل والتضرع الى (زوجه) ويستعطف (اوتو : الاله الشمس) في سبيل انقاذه ... ان جذاذات الرقيمة التي تروي (الاسطورة) متكسّرة تحول دون الوقوف على خاتمة (دمّوزي) ، وهل حمله الجان الى العالم السفلي أم لا[٣٤] .

وثمة ملحظ آخر هو : ان الاساطير السومرية نسلت كثيرا من الاساطير البابلية ، والاساطير الاشورية ، باعتداد (الموطن الواحد) و (التتابع الزمني) ، وعلى سبيل المثال لا الحصر ، بطبيعة الحال ، اسطورة نزول (عشتار) من (العالم العلوي) الى (العالم السفلي) نفسها . ففي النص البابلي لهذا (النزول) وصف للفشل الذي مُنيت به (عملية الاخصاب البشري) ، بسبب غياب (الالهة : عشتار) ، كما ان النص العام

(٣٤) راجع : Ancient N.E. Texts

في الاساطير السومرية ، والبابلية ـ الآشورية متشابه ، وان وجدت ثمة فوارق تفصيلية • فعشتار تطرق باب (العالم السفلي) ، وهي تجأر بالوعيد ، والويل ، والثبور ، وتحطيم الباب ، ان لم يسمح لها بفتحه وولوجه ، كما انها ستعمد الى اطلاق سراح جميع الاسارى ـ الاموات في (العالم السفلي)• ويرد على لسانها في (الاسطورة) كلام ، اليك ترجمته :

ـ يا حارس ! •••• افتح الباب !

ـ (الباب) الذى اريد ان الج منه •••• افتحه !

ـ ان لم تفتحه ، فلن استطيع الى الدخول منه سبيلا !

ـ سأحطم هذا (الباب) ، واجعل دُسُرَه هشيما تذروه الرياح !

ـ سأجعل (اطار الباب) حطاما ، وسأقلع الابواب جميعا !

ـ سأوقظ الموتى ، واتناول الاحياء طعاما !

ـ سأجعل الموتى اكثر من الاحياء عددا !

وانك لتلحظ (عشتار) فى (النص) هذا ، بالنسبة لـ (النص السومري) ، قد فارقت وداعتها ورقتها ، وانها تغلظ القول ، وتشتد وعيدا ، وتنذر كثيرا •

اما كيف اختارت (انا ـ عشتار) (دمّوزي ـ تموز) « الاله الراعي » بعلا لها ، فلقد ورد ذلك في (اسطورة سومرية) نسلت قصه (هابيل وقابيل) الاسرائيلية • ان لهذه (الاسطورة) « دلالتها الاجتماعية » ، اعني (التنافس التقليدي) و (التدافع الحضاري) بين طرزي المعيشة : الرعوي والزراعي • تذهب الاسطورة الى ان : (انا ـ عشتار) كانت تتأرجح فى اختيار (بعل) لها بين (تموز ـ الاله الراعي) وبين (انكيدو ـ الاله الزراعي) ، على حين كان اخوها (اوتو ـ الاله الشمس) يفضل (تموز) على (انكيدو) ، لكنها كانت على النقيض من أخيها تفضّل (انكيدو) على (تموز) • ويكتب في (الاسطورة) لـ (تموز) ادراك مراده في خاتمة المطاف ، وهكذا تجعله جميع الاساطير العشتارية ، على اختلاف أسمائه ، زوجا لها •

واليك هذا (الحوار) بين (الغريمين) على ما ورد في رقيمة ترجم نصها (كريمر) :

انكيدو : ايها (الراعي) ! •• لِمَ اثرتَ الخصام ؟!

يا (دمّوزي ـ الراعي) •• لِمَ اثرت الخصام ؟!

دع الخراف ترعى عشب الارض !

دع الخراف ترعى فى مروجي !

دمّوزي : اجل ••• انا الراعي ، وانت ايها الفلاح صديقي !

لا شأن لك يا صديقي انكيدو : الفلاح بزواجي !

لا تتدخل فيه !

انكيدو : الحنطة سآتيك بها ••• والباقلاء سآتيك بها أيضا !

الباقلاء •• سآتيك بها !

والعذراء : (انا) ••• وكل ما يجعلك تتطلق فرحا وحبورا !

و (العذراء : انا) .. سآتيك بها !

من هذا كله يتبين كيف قُرن (الالـــه : تموز ـ دمّوزي) بـ (الالهة : انا ـ عشتار ـ ملكة السماء) واقترن بها بعلا . وكان ان شُغفت به حبا ، وشغفها هو الذي اجهز عليها اخيرا ، فجرت على نديه ، وانحيب عليه دأبا . ولا غرو في ذلك فهو (اله الخضار والنبات) ، ومن هنا قُرنت ملحمة نزول عشتار الى (العالم السفلي) بموسم (الاخضرار ـ الربيع) فيه سنويا ، وكل ذلك من اجل اعادة (تموز) من عالم الموتى الذي يتخذ الســـبيل اليـــه ، على ما يرد في (الاسطورة) ، صيفا .

هكذا قُرنت عبـــادة (تموز ـ دمّوزي ـ ادونيس) بعبادة (انا ـ عشتار ـ ملكة السماء). وثمة ملحظ طريف ذو دلالة تاريخية ـ جغرافية هو : ان (الاسطورة) تمثل (تموز) و (عشتار) على هيئة شجرة الصنوبر ، زوجين اثنين ، ذكر وانثى ، ولما كانت (الشجرة) هذه نادرة الوجود في (دلتا الرافدين) ، وهي من الاشجار الجبلية عادة ، فلا معدى عن ان تكون صورتها مستقرة في اطواء ذاكرة السومريين من مسكنهم القديم الذي نزحوا منه الى (الدلتا) اصلا . وهكذا ظهرت في (الاساطير) التي يلعب فيها (اللاشعور) دورا مهما . ان ذلـك عـلى غـرار تشيّدهم (الزقورات) التي توحي اليهم بمنظر الجبل ، موطنهم الاصلي ، سواء بسواء .

و (لقصة الطوفان) صلة بـ (عشتار) ، على ما جاء في المدوّنات القديمة ، فالتوراة تذكر ان (علامة العهد) كانت عبارة عن (قوس قزح)، وانها تمثلت بقلادة عشتار المنظومة من حجـــر اللازورد Lapis Lazuli . ان عشـتار هي التي حرضت (الالهة) على افناء الجنس البشري ، لكنها اخذت تنتحب ، ابان الطوفان ، حين هبت عاصفة هوجاء استطال امدها سبعة ايام ، بلياليها . وركدت العاصفة في اليـــوم الســـابع ، فبعث (اوتو نابشتم) الى الارض ليجد الناس فيها قـد استحالوا الى طين . وتستوى (سفينته) على جبل (نصـــير) ويبقى (اوتو نابشـــتم) يرقب ، ثم يرسل حمامة عساه يعثر على اليبس كي ترسو السفينة اليه ، لكن الحمامة ترجع خائبة فيرسل (الخطاف) فلا يكون حظه بأحسن من حظ الحمامة ، واخيرا يرسل (الغراب) فيعثر على قوت لكنه لا يعود ، واخيرا تصل عشتار وتنزع من جيدها القلادة التي المعنا اليها ، وتأخذ بتوبيخ (انليل) الذى سبب هلاك شعبها .

واليك نص ما ورد عن عشتار فى (قصـــة الطوفان) على ما وردت على لسان (اوتو نابشتم ـ نوح ، على ما ورد في التوراة) :

« ... وهبت العواصف ستة ايام ، وست ليال ، وانهمرت الامطار فغطى الطوفان الارض وذعرت حتى الالهة من الطوفان ، فانهزمت الى سماء اوتو ، واقعت كالكلاب وصرخت (عشتار) مثل امرأة ، وانتحبت سيدة الالهة بصوت شجي امرت بالشر في مجلس الآلهة وصار البشر الذين وقالت الالاهة عشتار : أيتها الآلهـة ! كما انني ولدتهم مثل بيض السمك يملأون المياه .... وقالت الالهة عشتار : يا أيها الآلهة ! كما انني لا انسى عقد اللازورد الذي في عنقي فسأذكر

هذه الايام ولا أنساها • « فلتقترب الالهة من القربان فيما خلا (انليل) الذي أحدث الطوفان بلا روية فاهلك البشر » •

وتحفل (الوركاء) بذكرى عشتار كثيرا • فلقد وجد فيها من العهد الكشي معبد بناه (كره انداش) للالاهة عشتار (اننا) ـ في حدود سنة ١٤٤٠ ق•م • ومن القطع الآثارية النفيسة التي وجدت في (الوركاء) (من طبقة عهد جمدة نصر) اناء من المرمر كبير الحجم يبلغ طوله أربع أقدام يعتدّ اليوم من نفائس (المتحف العراقي) • لقد زين (الاناء) من خارجه بنحت بارز يمثل موكبا فيه كهنة عراة يحملون سلال القرابين الى معبد (اى ـ انا) في الوركاء ، وتشاهد بعض الالهة في الموكب ويرجح انها تمثل الالاهة اينا (او انتا : عشتار) ، وقد نحتت هذه الاشكال باقصى درجة من المهارة الفنية ، وتمثل نموذجا رائعا من التعبير الواقعي •

ويرد ذكر (عشتار) في (ملحمة كلكامش) ومتصلا بالوركاء أيضا ، كما يرد ذكر (انكيدو) ، وقد سبق القول عليه ، وصلته بزوج عشتار (تموز ـ دمّوزي ـ ادونيس) فهو موصوف في الملحمة بانه (كان وحشا ••• يرعى العشب والنبات مع الغزلان ويرد الماء مع وحوش البرية !) وان كلكامش ارسل له راعيا ، ومعه بغي : لتغريه وتبدّل حساله ، وكان ان وقع (انكيدو) في حبائل المرأة وعاش معها سبعة أيام وسبع ليال ، فتغيّر حاله من بعد ذلك حتى انه « نسي مسقط رأسه » وزالت عنه وحشيته فنفرت منه اسراب الغزلان والوحوش التي كانت تألفه فيما مضى ، ولم يستطع ان يجرى معها ويجاريها ركضا ، ثم عاد الى البغي وارتمى عند قدميها شاكيا ، فقالت له : الا تعلم يا انكيدو انك مثل اله ، علامَ اذن تهيم مع وحوش البرية ؟ تعَاله ، آخذ بيدك الى (الوركاء) حيث المعبد الزاهر ، مسكن (آنو) و (عشتار) ، وحيث كلكامش ذو الحول والقوة • وما ان سمع انكيدو ذلك الاّ استسلم الى البغي فسارت به الى الوركاء حيث تحداه كلكامش وبدأ صراع بينهما ثم طرحه ارضا • ثم ان كلكامش لبس الحلل الزاهية وصقل سلاحه ولما رأته الالاهة عشتار اعجبها حسنه واحبته فعرضت عليه ان يتزوجها ، واغرته على ذلك بما ستغدق عليه من هبات سنية ، وبانها ستجعلُ (ملوكَ الارض وحكامها وامراءها ينحنون له تبجيلا) • لكنّ كلكامش أبى ذلك على (عشتار) ، وذهب الى حد اهانتها ، وعيّرها بما جلبته على عشاقها السابقين من هلاك ودمار • ومما قاله لها : « أنت صرح يتحطم عنده الابطال • أنت قير يلوث من يحمله ، وقربة ماء يبتلّ من يحملها • فأي واحد من عشاقك المياميين بقي حبك له • تعالي أسرد لك حديث عشاقك ، فمن أجل تموز ، زوج صباك تنوحين كل عام[٣٥] وقد شغفت بال (شقراق)

---

(٣٥) يشير هذا الى (العيد السنوي) الخاص ب (النواح على تموز) الـه الخضار والنبات والربيع ، وقد اعتقدوا فيه انه ينزل الى (عالم الاموات) الاسفل في كل خريف ويظل هناك حيث يقوم ويرجع الى الحياة مع بشائر الربيع • وتوجد قصة بابلية تصف نزول عشتار الى العالم الاسفل لارجاع حبيبها (تموز) الذي مات بسبب حبها •

«المرقّش» حبا فكان أن نال منك لطمة كسرت جناحه، فدأب على الندب في البساتين والاحراش : « جناحي • جناحي »[٣٦] وهنا تُستثار عشتار وتغضب ، فتصعد الى السماء حيث يستقر أبوها (آنو) فتستعديه على (كلكامش) ، وتحلف في سؤاله بأن يخلق ثورا مقدسا تصطنعه في القضاء على كلكامش • ثم تمضي فتهدد أباها بأنه ان لم يفعل ذلك فستعمد الى تحطيم (باب العالم الاسفل)[٣٧] أي : (عالم الاموات) ، فيخرجون منه وينافسون الاحياء • وهنا نجد الاب ينزل عند طلب ابنته (عشتار) فيخلق (ثور السماء) وينزله الى (الوركاء) ليفتك بأهلها ويشيع الذعر فيها ويثير الهلع • لقد سقط كثير من رجال الملك صرعى ، وماتوا من خواره رعبا • وعندها ينبري له (البطلان) لمصارعته ، و (الملحمة) تصف المصارعة ، فاذا بها على غرار مصارعة الثيران في اسبانية ، اليوم• وأخيرا نجد البطلين يظهران عليه ويقضيان عليه قضاءا مبرما • وما أن تشهد (عشتار) ذلك الا يتملكها غضب شديد وتبدأ بصب اللعنات على (كلكامش) ، وعندما يسمع (انكيدو) تلكم اللعنات يعمد الى قطع فخذ (الثور) وقذفه في وجهها • أما هذا (الثور) فتصفه (الملحمة) وصفا عجيبا : فقرناه من حجر اللازورد •

وكان أن تملك (عشتار) الأسى على (الثور) فقامت بجمع لمّة من (نسوة المعبد) وشرعت بندبه معهن • أما (البطلان) فلقد اتخذا سبيلهما في جادات المدينة يزهوان بالنصر ، وكلكامش يسأل عذارى (الوركاء) المنظمات الى المحتفلين من الناس (من هو الامجد من بين الابطال ؟ ومن هو زين الرجال ؟) فيتعالى جواب المحتفلين : (كلكامش هو الامجد من بين الابطال ، كلكامش زين الرجال !)

قلنا ان (اربيلا ـ اربل) كانت مركزا رئيسا لعبادة (عشتار) ، ولذلك ورد اسمها في المدونات المسمارية بصيغة : (إي ـ كشان ـ كلامنا : E-Kashan-Kalamma) ، أي : « بيت سيدة الاقاليم» وقد عثر في (قلعة اربل) على تمثال من برنز ورد عليه ذكر (عشتار) ، كما كان في (اربيلا) تمثال للاله (آشور) كبير آلهة الآشوريين، لذلك اعتاد الملوك الآشوريون على قضاء بعض أيام السنة في أربيل لعبادة (الالهة) فيها واشتهرت (اربيلا) باعتدادها (عاصمة الآشوريين الدينية) ومركز رئيس لعبادة عشتار ، وغيرها من الآلهة ،

راجع : مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة (القسم الاول) ـ طه باقر ص : ٤٦٣ ـ هامش •

(٣٦) ... عالم الارواح الذي وصفته القصة بأنه (الدار التي لا رجعة لمن يدخلها والطريق التي لا رجعة منه ، والدار التي حرم سكانها من النور حيث التراب والطين طعامهم وقوتهم الخ • وهذه صورة كئيبة تصوّرها البابليون عن (عالم الاموات) ولكنهم لطّفوا منها في أساطير أخرى ورد فيها ذكر (العالم الاسفل) ... المصدر نفسه : ص ٤٦٣ •

(٣٧) ان الشقراق ، وهو طائر يكثر في العراق الجنوبي ، يخرج في اثناء طيرانه في موسم اللقاح صوتا يشبه اللفظة البابلية (كفي) أي : جناحي ، ولعل صوته وشكل طيرانه هما المذان اوحيا للبابليين بهذا الخيال الطريف •

المصدر نفسه ص : ٤٦٣ •

وبأنها مركز للفأل بطريقة فحص الكبد(٣٨) • ولا أدل على مقام عشتار من أن تنسب اليها مدن اخرى غير اربيلا ، ومنها (نمت عشتار) وهي التي قامت عليها بليدة (تل اعفر) الحالية ، وهذا ان دلّ على شيء فعلى أهمية المستوطن القديم الذي قامت عليه (البليدة) الحالية : (تلعفر) أيضا ، وقد ازداد خطره عندما عمد الملك الآشوري (تكلات بلاصر الثاني) الى جعلـــه آهلا بالسكان حيث اسكن فيه ، وفي منطقته الممتدة بين غربي دجلة وشرقي الفرات ، خلقا كبيرا مزيجا من الاقوام والقبائل الاجنبية ، ولذلك حفلت هذه المنطقـة بالمدن المكتّفة اليـوم بأطلال (أبو مارية) ، و (تل عبطة) ، و (تل حقنة) • وكان (قلب) هذه المنطقة ، التي يمر منها الطريق الآشوري المهم غربا ، هو (نمت عشتار) ، وفي عهد (دويلة الحَضْر) تحور الاسم الى (نمت عشتار) ، ثم غدا (تل عثا) حتى انتهى الى (تل عفـــر) ف (تللعفر) •

قلنا : ان الملوك الآشوريين كانوا يتفاءلون بالنصر على أعدائهم ، وهم الذين حفل تأريخهم بالحروب المستدامة والانتصـــارات الـكثيرة • ب (الالاهة : عشتار) ولذلك طوّروا صـفتها الاصلية باعتـــدادها (الاهـــة الخصب والحب) باضافة (النصر) اليها ، وعلى سبيل المثـــال لا الحصر ، بطبيعـــة الحال ، نذكر ان الملـــك الآشوري نابه الذكر (آشور بانيبال ٦٦٨-٦٢٧ ق٠م) عندما سار لملاقاة عدوه الألد ملك عيلام : (تي ـ آمان) ، اثر هجومه على وادي الرافدين الجنوبي واستيلائه عليه ، وتحدّيه الانبراطورية الآشورية ، وتهديده لكيانها ، بات ليلة في (معبد عشتار) في (اربيلا) ورأى فيه ، فيما يراه النائم ، (الالاهة) تخبره بأنه منتصر على عدوه ان سار اليه ، أما هي فستكون في المقدمة ـ ولا شك ان (الحلم) هذا يمثل رغبة مكبوتة في صدر الملك ، تسامت في الحلم واتصلت بالالاهه عشتار رمز النصر • وكان أن سار جيش آشور بانيبال حقا وقُدّر له أن يقتل (تي ـ آمان) ، وأرسل قائد الجيش رأسه الى (اربيـلا) ، حيث كان الملك آشـــور بانيبال يتنزه صحبة الملكة في احدى الحدائق ، فأمر بأن يعلق الرأس ليراه الراؤون• ولا شك انه حمد لـ (الالاهة عشتار) ذلك النصر المبين ، وكيف لا وقد أنبأته في المنام انها ستحارب

---

(٣٨) المعروف بـ (Hepatoscopy) وكـان سكان وادي الرافدين الاقدمون يعتقدون ان بين (الكبد) و (الروح) صلة قائمة وثقى ، ولعل هذا (المعتقـد) انبثق من انهـم رأوا الكبـد (خزانة الدم) ـ اذ يقدر ما فيها بنحو سدس كمية الدم الموجودة في الجسم الحي ـ لذلك شاع عندهم أخذ الفـأل باصطناع الكبـد • وكانوا يذهبون الى ان الضحية من الحيوان المقـدّمة قربانا للآلهة تغدو جزءا منه ، وتصبح روحها من روح الاله المقدّمة له جزءا ، وعلى ذلك ففي مقدور البشر أن يستشفّوا (روح الاله) من (الكبد) ، ومن ثم (ارادته) و (خبء المستقبل) ، وقد عثر على نموذج من فخـــار في تنقيبـــات العراق لـ (كبد) وعليه ثقوب وخطوط تبيّن أجزاء مهمة من كبد خروف ، ومعه مفتاح بالحروف المسمارية يبيّن دلالة ذلك ، والذي يقوم بفحص الكبد هو العرّاف (البارو) ويكون ذلك أمام صنم الاله ومعه موقد وطاولة وبعض قنـاني الخمرة وشيء من الخبز ومزيج من الزبد والعسل والملح ، ثم تذبح الذبيحة وتفحص اجزاؤها •

راجع :

British Museum: Cuneiform Texts, part VI: (1898) Pls. 1, 2, 3.

مع الجيش بسلاحها المؤلف من سهام وقوس .

وكان بجوار معبد الالاهة عشتار في(اربيلا) معبد الاهة المدينة الخاصة : شربل . لكننا لا نعلم ، على التحقيق ، موقعه اليوم ، كما ان بعض الباحثين ، ومنهم الاستاذ سدني سميث ، يرون ان موقع مدينة اربيلا القديمة نفسها غير معروف، على التحقيق أيضا ، لكن من الثابت اليقين انها لم تكن على (القلعة الحالية) . ومن الغريب أيضا انه لم تدون كتابات مسمارية عنها[٣٩] . لكننا نستطيع أن نفرض فرضا معقولا لو قلنا ان المعبد المخصص لعبادة عشتار في اربيل لم يكن ليختلف كثيرا عن صنوه في (الوركاء ـ اوروك) السومرية القديمة ، اذ لا بد من ان الآشوريين لم يخرجوا في بنائه عن ذلك المعبد العشتاري القديم ، وهو الذي جدد بناءه (سرجون الثاني) ، وفي العهد الاكدي ، شارك كل من (نبوخذنصر) و (نبونئيد) في تجديد أقسام ذات خطر منه ، شأنهم كشأن كورش الاخميني ، فيما بعد . وهذا يسوقنا الى وصف المعبد العشتاري في (اوروك ـ الوركاء) الذي كان يسمى (معبد اي ـ انا) ، فنقول :

« كان معبدا ضخما ، كائنا شرقي المدينة يسمى معبد (اي ـ انا) ، على معنى (بيت السماء) مخصصا لـ (سيدة السماء) وهي التي عرفت بـ « عشتار » بأخرة . انه أقدم معابد (اوروك) طرا ، ويرجع تأريخ بنائه ، أول مرة ، الى أواسط الالف الرابعة قبل الميلاد . وكان المعبد مؤلفا من ردهة وسطى طويلة وسيعة ، قد تكون غير مسقفة ، تحيط بها غرف صغيرة شتّى، ومخازن كبيرة وأمكنة تقدم فيها (القرابين) للالاهة ، ويطيف بالمعبد كله سور . وكانت واجهته تزدان بفسيفساء تتكون من دُسُر فخار زاهية الالوان .

واستمرت عبادة الالاهة عشتار في العهد الاكدي ، وفي المعبد نفسه بعد اصلاح ما أفسده الدهر فيه وترميمه . ولما حكم (اورنمو) الوركاء ، في نحو سنة ٢٠٥٠ وق.م ، وأسس (سلالة اور الثالثة) جدد عمارة معبد (اي ـ انا) تجديدا كليا ، كما أضاف اليه صرحا سامقا من لبن ، وجعل بين سافات اللبن الحصران والقصب فقام على هيئة (زقورة)[٤٠] والزقورة أو الصرح المدرج ، من كلمة بابلية معناها السمو (زقارو ـ زيكوراتي) . ان الزقورة تتألف من مصطبة أساس تعلوها مصطبات تبلغ عدتها : ٧ ، وكل مصطبة تصغر عن التي تقوم عليها بحيث تكون المصطبة العالية الاخيرة اصغر المصطبات السبع طرا ، ويكون في هذه معبد صغير للاله الاعظم يطلق عليه (المعبد العلوي) . ويصعد الى الزقورة عن سبيل ٣ سلالم : السلم الوسطي منها عمودي، وهو في وسط ضلع الزقورة،

---

(٣٩) راجع :
Edmonds, Kurds, Turks & Arabs.
ص ٢٩٩ (الحاشية) .

(٤٠) يطلق الاعراب البلديون على المنطقة التي تقع فيها (الوركاء) اليوم ، في منتصف طريق السكة الحديد بين بغداد والبصرة ، وعلى مسافة ٣٠ كم من السماوة ـ (الابويرية) وهو تصغير : بارية ، أي حصيرة ، لانهم شهدوا بقايا حصران المعبد .

وثمة سلمان جانبيان ، كل سلّم منهما يبدأ من ركن من أركانها ، وتلتقي السلالم الثلاثة عند اعلى المصطبة الاولى • على جانبي السلم الوسطي يشاد معبد أو معبدان صغيران يعرفان بـ (المعبد السفلي) ، بالنسبة الى (المعبد العلوي) الذي ذكرناه ، وتحيط بالزقورة كلها ساحة وسيعة حولها غرف عديدة يستعمل بعضها لاقامة الصلاة ، وبعضها كمخازن ، ويطيف بالمعبد كله سور •

من مصطبات معبد عشتار في (اوروك) الذى شيده (اورنمو) لم تبق الا مصطبة واحدة ، تعلو عن الارض بنحو ستة عشر مترا ، وهي مربعة الشكل ، طول ضلع المربع نحو ٦٠ مترا ، والسلم الوسطي له اثاره اليوم ، شأنه كشأن السلمين الجانبيين • وذهب المنقبون الالمان الى ان هذا (المعبد) كان يتألف من (مصطبة) واحدة حسب ، وان قد كان له في أيام مؤسس سلالة اور الثالثة سوران : جوّاني ، وبرّاني ، بينهما غرف وساحات • كما كان في السور بابان وسيعان ، احدهما في الجهة الشرقية والآخر في الجهة الجنوبية • وقدّرت مساحة المعبد كله بنحو ١٢٠ الف متر مربع •

ومن الذين جددوا عمارة (المعبد) المسمى (ليت عشتار) من سلالة ايسن • ومن الطريف ان نذكر ان شكل (معبد عشتار) العام في (اوروك) ، طوال ١٥٠٠ سنة ، أى من عهد (اورنمو) الى عهد (كورش) ، لم يتغير من حيث الاساس ، وذلك على الرغم من تجديد عمارته وترميمه ، والظاهر ان القدسية التي كان يضفيها المتعبّدون فيه عليه هي سبب الحفاظ على شكله العام ، وعلى ما يشاهد حتى يوم الناس هذا في معابد الاديان جميعا • ان روح الحفاظ على شكل المعبد القديم هو الذى يجعلنا نرجح ان المعبد الذى اقامه الآشوريون لـ (عشتار) في (اربيلا) لم يكن ليختلف عن معبدها الاصلي القديم في اوروك على ما وصفناه آنفا • وممـا يسند ما نذهب اليه ان الاشوريين هم في الواقع وريثو الحضارة السومرية وقد شيدوا معابدهم على هيئة زقورات في عواصمهم ولم تشذ عن ذلك عاصمتهم الدينية : اربيل التي قلنا انها معبد لعبادة عشتار • وقد تأثر الملك الآشوري بزقورات نمرود وبابل فجعل للزقورة التي بناها في عاصمته الجديدة : خرساباد منحدرات يرقى بواسطتها ، وكانت هذه المنحدرات تحيط بالزقورة على الواجهة وتحل محل السلالم في غيرها ، وهي على غرار مرقى (الملوية) الحلزوني في سامرا •

وكان في جل العواصم الآشورية (معبد) أو (باب) يخلد اسم الالاهة عشتار ، ففي آشور كان ثمة برج مدرج مخصص لعبادة آشور ، كبير الهة الآشوريين ، الذى كان يعلو كل بِنَى المدينة ، وعلى يمينه (معبد الكون : اي ـ شار ـ را : E-Shar-ra) ، والى الغرب منه معبد لعبادة الشمس والاله القمر (سن) ، ثم معبد آخر ذو برجين مزدوج لعبادة الالهين (ادد) و (انو) ، والى الغرب من هذا قليلا (معبد عشتار) فمعبد (نبو) • وفي خرساباد ، التي بنيت على شكل مربع مساحته نحو ميل مربع سبعة أبواب سميت بأسماء الآلهة :

هي : بابا (انليل) و (تنليل) في الضلع الشمالية ـ الغربية ، وبابا (شمش) و (ادد) في الضلع الشمالية الشرقية ، وبابا (انو) و (عشتار) في الضلع الجنوبية الغربية ، وبابا (ايا) و (بعلت ـ ايلاني) في الضلع الجنوبية ـ الشرقية • وتشييد المعابد الآشورية وللالهة السومرية ، ومنها الالاهة عشتار ، هو السبب في اطلاق أسماء الالهة على أبواب مدن الآشوريين وهو دليل على تأثر حضارة الآشوريين بحضارة سكان العراق ، الاقدم منهم عهدا ولا سيما السومريين •

* * *

وانسابت (عشتار) الى اساطير الاغريق أيضا ، وهي فيها الابنة الثانية لـ (جوبتر Jupiter) ـ على ان منيرفا Minerva كانت هي ابنته المفضلة الاثيرة • لقد عرفت في الاساطير الاغريقية بـ (فينوس : Venus خالبة قلوب الرجال) و (افروديت محبة الضحك) ، المولودة من رغوة البحر • وعندما تطأ قدماها الخفيفتان ارضا سرعان ما ينبت عليها الورد ، وباعتدادها (الهة الحب والجمال) ، فانها تمتلك كل مقومات السحر والفتنة الانثوية • انها ، عندهم ، « الالاهة ، ذات الابتسامة العذبة » دوما ، و « افروديت الذهبية » أيضا • لكنها كانت ، في الاحيان ، تخون من يضع ثقته فيها ، « وعلى غرار ما يفعل العقلاء غالبا » •

وفي الاساطير الاغريقية لـ (فينوس : Venus) ولد صغير هو (كيوبيد : Cupid) أو (ايروس : Eros) وقد اعتاد على السير لصقها ، وبيده سهم وقوس • وعلى الرغم من انه لم يقتل بهما احدا ، فان الجرح الذي يسببانه يكون عميقا ، ولا يرجى الشفاء منه أبدا • ان الانسان ، أو الاله ، لو اخترق سهم من ذهب قلبه وقع في احبولة حب عميق ، اول وهلة • فان كان السهم قد غمس في رصاص ، فان الانسان الذي يجرح به يكره حتى الشخص الذي احبه قبلا • لقد ارتكب (كيوبيد) كثيرا من الاخطاء المؤسفة باستعماله « لعبته الخطرة » ، لذلك اعتقد الناس انه لن يستطيع البصر • ولذلك يظهر في صوره وعلى عينيه عصابة •

وفي الاساطير الاغريقية يقرن (ادونيس) بـ (عشتار) على الوجه التالي : ان (ادونيس) صائد شاب يزهو بجمال الرجولة بحيث لم تسلم من حبه حتى الالاهة (فينوس ـ عشتار) • لقد كان لا يأبه لنصيحتها فيعمد الى اصطياد حيوانات خطرة ، وعن هذا السبيل لقي حتفه • ذلك ان خنزيرا وحشيا ، سبق ان جرحه ، انقض عليه ، ذات يوم ، وغرس نابيه العظيمتين في جنب الشاب التاعس المسكين •

اما في الاساطير الالمانية فانها تظهر في الاسطورة المسماة (تانهاوزر : Tannhauser وهي تحكم جنة كلها ملذات حسية •

وفي الاساطير الايطالية القديمة هي (الالاهة بستان) ومن الالاهات الثانويات اولا الى ان قرن اسمها بـ (افروديت) فغدت الاهة الحب والحرب والخصب ، على ما كانت عند الشعوب الآسيوية ـ الغربية اصلا •

معلوم ان مجتمع (الكنعانيين) كان زراعي

الصبغة ، في الدرجة الاولى ، لذلك كان ميسم ديانتهم : عبادة القوى الطبيعية الانتاجية ، قوى الاخصاب والنماء ، وتأثروا في عبادتهم بعبادات جيرانهم الشعوب التي استوطنت بلاد ما بين النهرين • ولا معدى عن ان يتبادر الى الذهن : (تموز) اله الخصب ، واسطورة موته والنوح عليه ، وتغلبه ، بعد ذلك ، على (الاله ـ الموت) واقترانه بـ (الاهة الخصب : عشتار) التي سُمّيت عندهم بأسماء شتى منها (بعلة) و (عناة) و (عاناة) على ما ذكرنا انفا ، اما الاله (تموز) فعرف عند الكنعانيين باسامي شتى أيضا منها : (بعل) و (آذون) ـ ومعناه معنى بعل : الرب ، سواء بسواء • وعند الكنعانيين اسطورة تروى ما حل به ، لكنه فيها يقتل من قبل خنزير وحشي في اثناء قيامه بالصيد ، وما ان انتقل الى (العالم السفلي) الا دهم (الطبيعة) الموت ، ولا سيما النبات المخضوضر ، لذلك نزلت عشتار الى (العالم السفلي) واقامته من (عالم الموتى) فعادت الخضرة الى الارض • وقد اشتهرت (حران) بعادة النواح على (تموز : دمّوزي) لانها كانت مركز عبادته ، شأنها كشأن مدن العراق القديم ، ويروى (ابن النديم) في (الفهرست) ان هذه العادة بقيت حتى أيام الاسلام •

ولهذه المعتقدات والطقوس والشعائر المتصلة بـ (تموز) و (عشتار) صنو لدى (الفينقيين) ، و (تموز) عند (الفينقيين) أصبح (نعمان) ـ و (شقائق النعمان) ، اكتسبت لونها الاحمر المعروف ، على ما اعتقد الفينيقيون ، من لون دم (تموز ـ ادونيس) القاني • قلنا : ان (الفينيقيين) عبدوا (عشتار) وخصّصوا موقع (فاجعة تموز) عند (نهر ابراهيم) لها ، مما جعل ماء هذا النهر ، على معتقدهم ، يستحيل الى أحمر في موسم من مواسم السنة لان دم تموز يجري فيه • ومن جراء عبادة عشتار نشأت شعائر وطقوس دينية كان الفينيقيون يقيمونها في (جبيل) ، ومنها ان نسوتها يأخذن بالبحث عن (الاله المختفي) • ويستطيل الاحتفال السنوي المنصبّ على هذا الامر مدة ٧ أيام ، وما ان يفوم (تموز) من عالم الموتى الا يعم الفرح الناس ، ولا سيما النساء منهم ، ومنهن من ينذرن عفافهن لذلك • ومن الرجال من يعمد الى اخصاء انفسهم وتكريس جميع اوقاتهم للخدمة في معبده الخاص• ويروي كل من (هيرودوتس) و (استرابون) ان عادة البغاء المقدس ، ـ وقد نشأت هذه مع عبادة (عشتار) في العراق ـ وجدت في (جبيل) مع عبادة عشتار فيها ، كشأن قبرص واليونان وصقلية وقرطاجنة[٤١] •

وفي بلاد الشام اشتهرت (عشتار) باسم (بعلة) أي : (السيدة) وقرن هذا الاسم بأسماء المدن فيها ، على غرار قرن اسمها باربيلا : (عشتار ـ اربيلا) فسميت (بعلة جبيلا) أي (سيدة جبيل) كما عرفت باسم (ملكة) ـ وهذا يومىء الى اسمها المشهور (ملكة السماء) ، كما عرفت بانها اخت (عليان بعل) • وانتقل اسمها ، على اختلاف صوره ، الى (التوراة) ففي (سفر يشوع) نقرأ (بيت عناث) ويمثله

(٤١) Herodotus, I, Chapter 199.
Strabo XVI, Chapter I.

الموضع الكائن اليوم قرب (عكّا) المسمى (البعنة) ، ونقرأ في (سفريشوع) أيضا (بيت عينون) ويمثلها الموقع الكائن شمالي شرقي حيرون بثلاثة اميال ، كما نقرأ في السفر نفسه اسم (عنانوث) وهي مسقط رأس (ارمية) ويعرف موضعها الآن باسم (عناتا) وهو كائن الى الشمال الشرقي من القدس بنحو اربعة اميال • ومن الباحثين من يسترجح ان اسم بليدة (عانه) العراقية منسوب الى اسم هذه الالاهة ، ذلك انها كانت مستوطنا بابليا ذا خطر ، ولا معدى عن ان ينساب اليها اسم (الالاهة) العظيمة ايضا •

والاموريون كانوا على صلة وثيقة بالسومريين ، يدلك على ذلك ان اسمهم مشتق من مصطلح سومري اعني : (مارتو) ، ومثله في اشتقاق اسم المدينة الامورية : (ماري ـ تل الحريرى) ، وفي مصطلح (مارتو) الذى شمل بلاد الشام كلها ـ لذلك كانت دياناتهم تنصب على عبادة الظواهر الطبيعية ، كما انهم اتخذوا من بينها عبادة (الالاهة عشتار) نفسها ، وفي كتاب تأريخ سورية للاستاذ حتّي صورة تمثل احد ملوك (ماري) يتسلّم شارة السلطنة من (عشتار) نفسها • وكان لدى الاموريين (اله ذكر) مشتق من اسمهم اعني (مورو) ، وقد جعلوه زوجا ل (عشرتا) أو (اشيراتا) ، الاهة (الحب) و (الرغبة الجنسية) و (القوة) وهي الصفات التي اطلقتها شعوب وادى الرافدين على الاهتهم (عشتار) نفسها • ومن ملوك الاموريين من كان ينسب الى (الآلاهة : عشرتا ـ اشرتا ـ عشتار) ، مثل (عبد اشرتا) •

ومثل صلة الاموريين بالسومريين كانت تقوم صلة وثقى بينهم وبين الكنعانيين ، ولعلّ اتخاذ (عشتار) الاهة عند الشعوب الثلاثة هذه دليل على هذه الصلة الروحية عينها •

وتأثرت ديانة (الاراميين) بديانة (الاموريين) و (الكنعانيين) أيضا ، فكان عندهم الاله (حدد ـ ادد) ، وجعلوا زوجته (اتركاتس) المنعوتة بـ (الالاهة السورية) وصفاتها صفات (عشتار) نفسها • وصيغة (اتركاتس : Atergatis) محرّفة عن اسم مركب من (عتار) او (عتّار) أو (اشتارتة) و (عناه) ، وهما اصلا اسمان لالاهتين اندمجت عبادتاهما فاندمج اسماهما •

* * *

بقيت لدينا نقطتان تتصلان بالالاهة عشتار ، اولاهما: هل من صلة بين اسمها السومري القديم ، وبين اسم (نينوى) ، عاصمة الآشوريين ؟ فالمعروف ان اسم نينوى قد انسحب من الالاهة (نينا) ، واعتدت السمكة مقربة لهذه الالاهة عينها[٤٢] • ان (نون) كانت تدل ، في اللغة الآشورية القديمة ، على : (سمكة) ، ومن نون اشتُق الاسم العلم : (يونان) ، و (يونس) و (ذو النون) • ولقصة (يونان) ، و (الحوت)

(٤٢) ان ذوات الاطواق والسمك كانت أصلا مما يختص بالالاهة عشتار ، وهي في ذلك على غرار الالاهة قريبتها : الملكة سميراميس الاسطورية •

اصول ، على ما هو ظاهر ، في العقيدة الخاصة بعبادة (الالاهة نينا) التي يذهب بعض البحاث الى انها (الالاهة عشتار) نفسها ، وهي التي عبدت في ديار الآشوريين ، وكان معبدها الرئيس : اربيلا •

ان القرآن الكريم يذكر : (ذا النون) ، ويذكر (يونس) باعتدادهما اسمين لنبي من أنبياء الله ، ويذكر (قصة الحوت) ولكنه لا يشير الى اية علاقة لذلك بـ (نينوى) ، ولا تُستشف منه اية علاقة باسم هذه (الالاهة) بطبيعة الحال لان الدين الاسلامي دين التوحيد المطلق وعبادة اله واحد أحد هو (الله) تعالى •

والنقطة الثانية : ان من الباحثين من يرى ان اسم (اربيلا) القديم ، وقد ذكرنا انه مشتق من اربا ـ ايلو ، أي : اربع آلهة ، يدل على اسم (عشتار) نفسها • ونحن لا نرجّح هذا الرأي ، لان (اربيلا) كانت موضع عبادة الاله الشمس وعشتار ، والالاهة الخاصة بها هي : شربل ، على ما ذكرنا ، واله آخر لم نجد له ذكرا ولعله القمر الذي عبده العراقيون القدامى كثيرا •

٥ ـ معابد (عشتار) في العراق القديم :

ان التنقيبات الآثارية في (الهلال الخصيب) لا تزال تظهر المقام السني الذي كانت تتبوأه (الالاهة عشتار) ، واحدثها ما جرى أخيرا في القطر السوري من اكتشاف مدينة (ايلا) التي ورد ذكرها كثيرا في نصوص الرقيمات التي اكتشفت في (بلاد ما بين النهرين) والتي حدد زمنها بالالف الثالثة قبل الميلاد ، وبقيت مكفنة بالثرى حتى ازيح عنها اخيرا •

كان سرجون الاكدي (٢٢٥٠ ق٠م) ، وسائر ملوك العراق القدامى ، يعتدون (ايلا) مركزا سوقيا وتجاريا على حظ كبير من خطر ، وشهرت في ايامها بالمنعة ووفرة الانتاج ، بغناها بالمعابد والتماثيل والمنحوتات البارزة • وقد عثر ، ابان اجراء التنقيبات فيها ، على تمثال صنع من حجر (بازلت) ، زالت بعض اجزائه ، وعليه نص باللغة الاكدية مكتوب بالحروف المسمارية • كما عثر على نص آخر من ٢٦ سطرا على حال حسنة ، وتبين انه يعود الى (العهد السومري) الحديث ، اي الى زمن يسبق عهد حمورابي (١٧٠٠ ق٠م) ، وفيه ما يفيد ارسال هدية نفيسة من رجل ذي تبعة الى آخر ذي تبعة ، وفيه ذكر (الالاهة عشتار) • وكل هذه تظهر مقام هذه (الالاهة) قبل خمسة آلاف سنة من يوم الناس هذا •

وعلى ذكر (سرجون الاكدي) و (الالاهة عشتار) نقول : انه اختار (معبود كيش) للحرب ربا ، وقد شيد فيها هيكلا فخما كبيرا كرّسه للمعبودة (عشتار) وسماه : (اي اولماش) •

وشهرت كيش أيضا بالزقورة المسماة (انيركدرما) ، ومعنى الاسم (دار العجائب) او (المستقر نابه الشأن) ، وهي الزقورة الخاصة بهيكل (ايلبابا) اله الحرب ، وزوجه هي (عشتار) • كانت (الزقورة) هذه قائمة على سيف الفرات وعلى بعد يزيد على نصف ميل من

باب المدينة الغربي .

وكان في كيش هيكل آخر يدعى (اى ـ هرساك ـ كلاما) وزقورة كبيرة، من بين زقورتين، وهما موصولان بمعبودة السومريين (انيني) التي ما هي الا الصورة القديمة لـ (عشتار) نفسها ، وليس لدينا من دلالة قاطعة على هوية المعبود الذي كرس له هيكل (اي ـ هرساك ـ كلاما) .

ويتمثل اجلال العراقيين القدامى لعشتار باعتدادها معبودة والاهة في كثرة ما كان يقدّم لها من قرابين ، وما كان قد شيد لها من معابد ، على ما اومأنا اليه آنفا .

ان سرجون الذى بنى (اكد : Agade) او عاود بناءها ، وموقعها اليوم غير معيّن على التحقيق ، شهد في أواخر حياته ثورة عارمة سُنّت بوجهه . وكان ان حوصر في (اكد) لكنه قهر اعداءه ، وتحدثنا المدونات المسمارية(٤٣) انه قدم قرابين كثيرة ، اثر ذلك ، الى المعبودة : عشتار .

وثمة مدونة أخرى تعود الى (اشدوني اريم : Ashduni Erim) غريم (سمو ـ ابوم Sumu-Abum) تذكر حربا استطالت ثمانية اعوام ، ولم يبق ، في السنة الثامنة منها ، لدى ملك كيش الا ٣٠٠ من المقاتلة ، لكن بعون من المعبودين (زبابا Zababa) و (عشتار) استطاع ان يعيد النصر له .

قلنا ان عشتار كانت تُعتدّ ، (اله الصبح) الذكر تارة ، وتارة انثى (الاهه المساء) ، كما كانت تعتد تارة ابنة (آنو) وتارة بنت الاله ـ القمر (سن) . وفي (اور) كانت عبادتها تدعم عبادة ابيها ، وكان عدد من يكلفون بها لا يحصى ، وكان من عادتها اغراء البشر . وفي (حلاب : Hallab) كانت تعتد (بنت القمر) و (سيدة الحملات) . وفي (سبّار) و (اكد) كان اسمها (انونيتم : Anunitum) . وتراءى انها تتسم (بالصفتين) ، وفي الاقل ، ايام (نابونئيدس) ، ذلك انه كان يطلق عليها « سيدة القتال حاملة السهم والقوس » ، كما انها كانت تأتي بالطوالع عند مشرق الشمس ومغربها . وكانوا يرون انها تشبعت بشخصيات الالاهات الاخريات ، وان اسمها ان استعمل بالمفرد دل على اية واحدة منها ، وان استعمل بالجمع دل عليها جميعا . وباعتدادها بنت (سن) كان رمزها عبارة عن (نجم) . ان الالاهة المقاتلة تقف منتصبة على اسد او اسدين ، حاملة قوسا وسلاحا معقوفا في يد ، وصولجانا مربوطا بسلاحين معقوفين تعلوهما رؤوس آساد بيد أخرى .

ان الاله انليل (سيد الارض) اختلس ألقاب الاله (آنو) والد عشتار ، لذلك سمي بـ (والد الالهة) .. ان رمزه على غرار (آنو) والهه الكاشيين (كدرّس Kudurrus) العرش والتياره . انه فوق كل شيء مستشار الالهة ، وانه هو (صاحب الطوفان) لذلك ما أن أرادت (عشتار) الغضبى أن تحول بينه وبين المشاركة في تضحية (اونا ـ نابشتم : Uta-Napishtim : نوح بابل) الا صرخت : « لتقدم الالهة الى التضحية ، ولكن لا تدعوا انليل يقدم ، ذلك

(٤٣) مسماري في الانكليزية : Cuneiform وهي كلمة ركّبت من (Cunueus) اللاطينية على معنى (اسفين) و (Forma) أي الشكل .

انـه لم يتبصر ، وسمح بأن يجيء الطـوفان ، وبقدر تعلق الامر بذلك لقد أصابهم الدمار . »

ويلحظ ان أروع ما في بابل من مشيدات هو (باب عشتار) الذي بنى تخليدا لذكرى الالاهة وتنويها بها . لقـد عاود تشييده (نبوخذنصر) الثاني ، وموقعه قريب من (القلعة) عند النقطـة التي يدخل (الطريق المقدس) المدينة العتيقة . كان في الاصل مشيدا من بنيتين من الآجـر المفخور ، كل بنية منها تقابل أحد أسوار المدينة، وكل واحدة منها قد غلقت من الداخـل ومن الخارج بباب . وتفصل بينهما ساحة ، والساحة نفسها مطبق عليها بسورين صغيرين . لقد كانت هناك ثلاثة مداخل واضحة تسدها ثمانية أبواب.

ان البرجين المركزيين كائنان على جانبي المدخل في الجهة الشمالية ـ الغربيـة ، وهي الواجهة كلها ، والممر الرئيس ، والواجهـة الجنوبية ـ الشرقية التي تقابل المدينة مزينـة بحيوانات ، رتبت على طبقات ، كل صف منهـا يمثل نوعا واحدا : (ثور ادد) و (تنين ـ مردوخ). ان ستة صفوف تقع أسفل ما يتراءى طريقـا وثمة عشرة صفوف واقعة تحت ما يتراءى طريقا جسريا Causeway ، مبنيا بالطابوق المفخور، المشيد من قبل نبوخذنصر المبلط بالحجر .. ان الحيوانات في الطبقات التسع الاولى هي على شكل صور ناتئة ، ومكونة من الطابوق غير المزجج . وفوقها طبقتان من الحيوانات المزججة ، وليست ناتئة ، تليهما طبقتان اخريان ، فيهما الطـابوق مزجج وبارز . لقد حسب عـدد الصور التي تكوّن الـ١٣ جماعة فاذا بها ٥٧٥ . ولا تزال منها ١٥٢ باقية . »[٤٤]

ويلحظ ان أقدم المستندات التأريخية التي وجدت في آشور ، اولى العواصم الآشورية ، عُثر عليها تحت معبد عشتار الكائن فيها ، وهي تماثيل تشبه التماثيل الآشورية ، منها تمثال رجل جالس على مقعد ، ولسوء الحظ انه مشوه ومن غير رأس ، وتمثال منتصب فيه تجويفا عينين ، ورأسه حليق الشعر ، لكن له لحية على الحنك ، على خـلاف العادة السومرية .

ويذكر لنـا تأريخ الآشوريين أيضا ان عاصمتهم (آشـور) كانت على الضفة اليمنى من دجلة ، تحت مقرن الزاب الاعـلى به ، وان شلمنصر الملك الآشوري اختار (كالح) عاصمة له ، على الضفة اليسرى ، فويق « المقرن» نفسه. وفي حكم هذا الملك دمر زلزال ، على ما يظهر ، (معبد آشور) ومعبد (عشتار نينوى) أيضا .

وكان العرف في أيام الآشوريين يقضي بأن من يخاصم في معاملة تجارية عليه ان يقدم حصانين أبيضين الى الآله آشور ، وأربعة من الامهار الى الآلة (نيركال) ، وطالنين من الفضة وطالنا من الذهب الى (عشتار نينوى) ، ولا يدخل في هذا تسديد ما قيمته ١٠ أمثال قيمة الضرر الناجم .

ان تقديم الخيول البيض كقرابين كان يعتد عقوبة تفرض على المخاصم لمصلحة الآلهة . اذ عليه أن ينذر اثنين الى أربعة منها الى (آشور) أو (سن) أو (عشتار) . وهو في الغالب يضيف اليها (٤) من الامهار الى (نيركال) . كما ان منكر

---

(٤٤) Delaporte: History of Civilization, Mesopotamia.

المعاملة يدفع غالبا شيئا من المال الى خزانة الالاهة عشتار وغيرها .

وكان البابليون القدامى يصلون بين الاجرام السماوية ، ومنها (فينوس) التي تمثلها (الالاهة عشتار) والتنجيمات والظواهر الطبيعية . فالالاهة تبدي ارادتها في حركات النجوم ، والمنجّم البابلي القديم كان يقرأ في «القبة السماوية» ما سيحدث فوق الارض . فعلى سبيل المثال لا الحصر ، لم يكن (الاله ـ القمر : سن) ليظهر في مطلع الشهر دوما ، وكان يتجلّى ، في الاحيان ، بدرا مكتملا في اليوم الـ١٣ أو الـ١٤ ، وأحيانا حتى في الـ١٦ من الشهر . ومن هذا نجمت تفسيرات شتّى تتصل بشؤون الدولة التي تتصل هذه الظواهر ، بها رأسا . ومثل هذا كان ، بنظرهم ، يصدق على [الاله ـ الشمس : شماش] و(الالاهة عشتار) و (الاله مردخ) وغيرها . اليها كان يعزى حسن الطالع ، ونكده ، بقدر تعلق الامر بما يحدث على سطح الارض من وقائع ، وبنتائج الحملات العسكرية والغزوات ومرض الامراء، وموتهم ، والمحل ، والطوفان ، وما الى ذلك .

وكان الآشوريون يرون ان ملوكهم يصطفيهم الالاهان ، أعني : آشور وعشتار ، ففي احدى الاسطوانات المدون عليها بتأريخ ٦٣٩ قبل الميلاد (خاتمة) تذكر مثل هذا . انها اسطوانة تعود الى الملك الآشوري نابه الذكر : آشور بانيبال ، واليك ما ورد فيها :

« في الايام القابلة ، ومن بين الملوك ، سيكون هؤلاء الذين سينسلون مني والذين ستعين أسماؤهم من قبل (آشور) و (عشتار) ليمسكوا بزمام السيادة على الارضين ومن يحل فيها ...

« وان من يحطم المدونة التي تحمل اسمي، واسم أبي ، واسم جدي ، ويبدلها ، لا يوضع اسمه بازاء اسمي ، أرجو من (آشور) و (سن) و (شماش) و (ادد) و (بعل) و (نابو) و (عشتار نينوى) ، ملكة كدموري ، و (عشتار اربيلا) ، انورتا ، ونركال ونسكو أن يقتصوا منه احتراما لاسمي . »

وورد في اسطوانة ل (تيغلات بيلصّر الاول) ذكر الالهة ، ومن بينها عشتار بطبيعة الحال وصفة كل واحد منهم :

المقدمة : (آشور) ، الاله الاعظم الذي يهيمن على الآلهة جميعا ويمنح الصولجان والتاج والذي يقوم بارساء قواعد السلطان. (انلّيل) ملك الآنوناكي جميعا ، ووالد الآلهة جميعا ، سيد الارضين . (سن) العاقل آله التاج الرافل بالمجد . (شماس) الديان بالنسبة للسماء والارض الذي يقضي على ما يقوم به العدو ويكون للعادلين العون . (ادد) الايد القوي الذي يسحق الاقاليم المعادية ، شأنها كشأن البيوت . (انورتا) البطل الذي يحطّم الاشرار والاعداء والذي يلبي مراد القلوب . (عشتار) اولى الآلهة ، سيدة الامر المريج التي تسعر الوقائع المروعة .

ويلحظ ان كهان المعابد الرئيسة العظام كانوا في المجتمع البابلي والآشوري في عداد الرجال العظام وكان أولاد الامراء يصبون الى أن يكونوا منهم ، وكانوا يعيّنون بالفال والطالع . كانت مثل هذه الوقائع حرية بأن تدخل في أسماء السنين ، على كرورها ومرورها ، وعلى سبيل

المثـــال لا الحصر ، بطبيعة الحال ، اختير ابن (اوراينكور) من قبل الالهة ليكون كاهن (انيا ـ عشتار) في (اوروك) • وقد مرت سنتان بـــين الانتخاب وبين التنصيب •

ذكرنا ان من الاسباب الرئيسة لعبـــادة الاجرام السماوية لدى سكان العراق القدامى ، وغيرهم من الاقوام ، هو هذا اللمعان والضـــوء الساطع الذي يتراءى منسابا من تلكم الاجرام ، ولقد كان تفسير قدامى سكان العراق لهذه الاجرام المشعّة غير مباشر ، ولكننا نستبين من أقدم المصادر المدونة ، ان السومريين كانوا يعتدون الالـه ـ القمر ، المعروف عندهم باسمي (سن) و (نانا) ابنا لاله الهواء (انليل) ، وليس من غير المحتمل ، أو غير المعقول ، أن نذهب الى انهم حسبوا القمر الساطع جرما شبيها بالهواء ، وقد صيغ على وجه ما من الطقس نفسه ، ولما كان (الاله ـ الشمس : اوتو) و (الالاهة الزهرة : ايتانا : عشتار) يشار اليهما في المدونات السومرية باعتدادهما من أطفال (الالـــه ـ القمر) ، فمن المحتمل انهـم كانوا يذهبون الى انهما نسلا من القمر بعد أن صيغ الاخير من الجو نفسه • ان هذا ليصدق بالنسبة لمعتقدهم في ســـائر السيارات والنجوم ، وهي توصف عند السومريين : « بالكبار التي تمشي حول (القمر) على غرار مشية الثيران ، والصغار المنتشرة حول (القمر) كحب الحصيد • »(٤٥)

قلنا ان السومريين عبدوا الالاهة (اينانا ـ عشتار) ، وجعلوها الاهة الحب ومعنى (اينانا) ملكة السماء وهذا منبثق من بريقها الخلاّب ، كما انهم جعلوا لها زوجا هو (الاله الراعي ـ دمّوزي) الذي ورد اسمه في التوراة بصيغة (تموز) ، ولقد استنكر البكاء عليه واعتد مقيتا مكروها من قبل النبي (حزقيال) حتى وقت متأخر ، أعني النصف الثاني من الالف الاولى قبل المسيح •

ويلحظ أيضا ان (اينانا ـ عشتار) الالاهة السومرية كانت تجمع الى كونها الاهة الحب ، انها الاهة المُنّة ، وثمة قصيدة تشرح ذلـــك واليكها :(٤٦)

« حدث ذات زمان ، وقبل قرون عديدة ، وقبل عهد الكاتب الذي دونها ، ان عاش ثمة بطل ســـومري ، نابـــه الشأن يدعى (انمركار : Enmerkar) •لقد كان هذا يحكم (اريخ) وهي (مدينة ـ دولة) كائنة في بلاد ما بين النهرين الجنوبية ، بين نهري الفرات ودجلة • وبعيدا الى الشرق من (اريخ) تقع (اراتا : Aratta) في فارس ، وكانت تتبوأ على قنة الجبل مكانا عليـا بحيث يعسر التقرب منهـــا • وكانت (اراتا) زاهرة مزدهرة غنية بالمعدن والحجر وهي المواد التي تفتقد كليا في المنخفضات المنبسطة في بلاد مابين النهرين ، حيث تقع مدينة انمركر : اريخ • لذلك فلا عجب ان رنا (انمركر) بعين طامحة نهمة الى (اراتا) وثرواتها • لقد عقد العزم على أن يجعل سكانها ، وحاكمهم ، رعايا له لذلك شن (حرب أعصاب) على (سيد اراتا) وسكانها • ووفق الى تحطيم معنوياتهم الى حد تخلوا فيـــه

(٤٥) Kramer History Begins at Sumer, p. 139.

(٤٦) المصدر نفسه ص ٥٩ وما بعدها •

عن استقلالهم وغدوا الى اريخ تبعا . »

كل هذا مروي في الاسلوب المترف الايد الذي يتسم به الشعر الملحمي في الدنيا كلها . والقصيدة ، بعد ، تبدأ بمقدمة تشيد بعظمة اريخ و (كلاّب : Kullab) ـ وهذه منطقة واقعة ضمن اريخ أو في جوارها المباشر ـ وهي منذ أول أيام الدنيا تصر وتؤكد على تفوقها على (ارتا) وذلك بنتيجة ايثار الالاهة (ايانا ـ عشتار) لها .

والقصيدة تروى كيف ان (انمركار ، ابن الاله ـ الشمس) ، وقد صمم على جعل اراتا دولة تابعة له ، عهد الى اخته (اناتا) بأن تحمل أهل (اراتا) على الاتيان بالذهب والفضة وحجر اللازورد والاحجار الكريمة لتبني له معابد شتى لاسيما المعبد المعروف بـ (ابزو) ، ومعناه (معبد البحر في انكي) وهو المعبد الرئيس لاله المياه السومري المعبود في اريدو ، وهذه مدينة واقعة قرب الخليج العربي .

وتصغي (ايانا) الى طلب (انمركار) وتنصحه بأن يفتش عن رسول خاص يعبر جبال (انشان) الشاخصة والتي تفصل اريخ من اراتا ، وذلك لكي يطمئنه عن ان أهل اراتا سيخضعون له ويقومون بعملية البناء التي يرغب فيها . ويختار انمركار رسوله ويرسله الى (سيد اراتا) ومعه رسالة يهدد فيها بتحطيم مدينته وصيرورتها خرابا قفرا ما لم يقم هو وأهل مدينته بجلب الفضة والذهب ويبني (معبد انكي) ويزينه . ولكي يؤثر في نفس سيد اراتا أكثر يوعز (انمركار) الى رسوله بأن يكرر عليه كيف ان (الاله انكي) ختم صفحة عصر الانسان الذهبي تحت ظل انليل وحكم الارض ومن عليها .

وبعد أن يعبر الرسول الجبال السبعة ، يصل (اراتا) ، فيكرر كلمات سيده ليسمعها سيد اراتا ، ويطلب منه جوابا . على ان الاخير يرفض الخضوع الى انمركار ويدعي بأنه تابع الى (الالاهة : ايانا ـ عشتار) وانها هي التي جاءت به الى (اراتا) باعتداده حاكمها ، وعلى ذلك يخبره الرسول بأن (اناتا ـ عشتار) ، وهي اليوم الملكة ايانا ، في اريخ ، قد وعدت (انمركار) بأن (اراتا) ستخضع له .

ووجم سيد (اراتا) لهذا الخبر ، فعمد الى تحرير جواب يحمله الرسول الى الملك في عودته ، وفيه يؤنب (انمركار) بسبب لجوئه الى السلاح ويقول له : انه يفضل المباراة (المبارزة) (وهي قتال بين بطلين مختارين) . ثم يذهب الى حد القول : لما غدت (ايانا ـ عشتار) عدوة له ، فانه على استعداد لان يخضع الى (انمركار)، ان أرسل له كمية كبيرة من الحنطة . ويعود الرسول الى (اريخ) ، على استعجال ، ويسلم الرسالة الى (انمركار) في باحة(قاعة الاجتماعات).

وقبل أن يقوم (انمركار) بحركته الثانية ، ينجز فعالا عديدة ، والظاهر انها من الطقوس . أولها انه يستثير (نيدابا) الالاهة السومرية للحكمة ، ثم انه يحمّل أثقال الحنطة على ظهور حيواناته ، ويقودها الى (اراتا) الدليل الذي اوكل اليه أن يحمل رسالة الى سيدها منوّهة بسلطان انمركار وأمر سيدها بأن يأتي بحجر من الكرمل واللازورد الى انمركار . وما أن يصل الرسول

الا بعمد الى تكديس الحنطة في الساحة ويبلغه الرسالة التي يحملها • وسُرّ الناس من الاتيان بالحنطة فاصبحوا على استعداد لتقديم حجر الكرمل الى انمركار (والظاهر ان حجراللازورد لا يرد ذكره) ، ومن قيام « من علت بهم السن » بتشييد « بيته المحض » •

لكن (سيد اراتا) المهووس ، بعد التنويه بسلطانه الشخصي ، يصر بكلمات نظيرات لكلمات انمركار على أن يقوم الاخير بالاتيان بحجري الكرمل واللازورد اليه •

ولدى عودة الرسول الى (اريخ) ، يظهر (انمركار) وهو يستطلع الفأل ، وبالاخص عن طريق قصبة (شوشيما) التي يأتي بها من (الضوء الى الظل) ومن (الظل الى الضوء) حتى يقوم بقطعها أخيرا « بعد مرور خمس سنوات » •

ثم انه يرسل الرسول كرة اخرى الى (اراتا) ويجعل الصولجان في هذه المرة بيده حسب ، ومن دون رسالة مصاحبة • ويتراءى ان مشهد الصولجان قد قذف بالرعب في قلب (سيد اراتا) • فيلجأ الى ما لديه من (شاتامو Shatammu) وبعد أن يتكلم بمرارة بما حلّ ببلدته بنتيجة استيلاء (اناتا : عشتار) يتراءى على استعداد للخضوع الى (انمركار) • لكنه في هذه المرة يطلب أن يختار (انمركار) أحد ممثليه من (المحاربين) ليشتبك في معركة مع أحد محاربي (سيد اراتا) « وبذلك يعرف من هو الاشد بأسا • انالتحدي يرد في عبارة لغزو ، ويطلبألا يكون فرد الحاشية أسود الوجه أو أبيضه وألا يكون رمادي اللون أو أصفره ـ وهذه لا معنى لها عندما يكون الحديث عن الانسان •

وعندما وصل الرسول الى (اريخ) بهذا التحدي الجديد ، أمره (انمركار) بان يعود الى (اراتا) برسالة فيها ثلاثة امور : (١) انه ـ أي (انمركار) يقبل بتحدي (سيد اراتا) وانه على استعداد لايفاد أحد الحاشية لمقاتلة ممثل سيد اراتا حتى بلوغ قرار (٢) وانه يطلب من سيد اراتا حتى بلوغ قرار (٢) بان يكدّس الذهب تكديسا ومعه الفضة والاحجار الكريمة ، للالاهة (اناتا ـ عشتار) في (اريخ) (٣) وانه ينذر اراتا كرة اخرى بالدمار التام ما لم يقم سيدها وشعبها بالاتيان بالاحجار الجبلية لبناء معبد اريدو وتزيينه •

في القسم الاول من الرسالة ، يتراءى ان كلمات انمركار تنصب على توضيح عبارة (سيد اراتا) التي جاءت على غرار اللغز وذلك بقدر اتصالها بلون فرد الحاشية الذي يجب أن يختار، انه يبدل كلمة (المحارب) بكلمة (ملابس) • ولعل معنى ذلك (الملابس) التي يرتديها المحاربون لا (لونهم) •

ثم تأتي في أعقاب ذلك عبارة باهرة ، لو فسرت على وجهها الصحيح فانها لتخبر : ان انمركار ، (سيد كوللا) ، كان في نظر الشاعر أول من كتب على رقيمات الطين ولقد فعل ذلك لان رسوله كان (عيا) وغير قادر على تكرار الرسالة (ولعل ذلك هو بسبب منطولها)• ريسلم الرسول الرقيمة التي تحمل كتابه الى (سيد اراتا) وينتظر جوابه • يتراءى ان العون يفد على (سيد اراتا) من مصدر غير مرتقب أبدا ذلك ان انه

المطر والزوابع السومري (اشكور) يجيء أراتا بحنطة، نمت في البرية، وكذلك الباقلاء، ويكدسها أمام سيد اراتا .. وما أن يرى هذا الحنطة الا يتشجع • ان ثقته تستعاد ويخبر رسول انمركار ان (اناتا ـ عشتار) لم تتخل عن (اراتا) بأي وجه من الوجوه ، وان بيتها وسريرها هما في ارانا نفسها[٤٧] • ثم بعد هذا يصبح النص منكسرا فتصعب قراءته •

(٤٧)
Kramer: History begins at Sumer, p. 60—64.

مصادر البحث الرئيسة

1. Encyclopaedia of Religion.
2. Encyclopaedia of Social Sciences.
3. Encyclopaedia of Modern Knowledge.
4. Encyclopaedia, International, Venus.
5. The Geography of Strabo, translated by Hamilton (3 vols) London 1912.
6. Bibliotheca Historia by Diodorus Siculus.
7. The History of Herodotus, translated by George Rowlinson (2 vols), London 1920.
8. Pliny, Natural History (Soc. Clanical Library), Rachham.
9. Ptolemy, Geographs.
10. Arrian: Anabasis (Locb Classical Library).
11. Xenophon: Anabasis.
12. Delaporte: Mesopotamia. The Babylonian and Assyrian Civilization, London 1925.
13. Kramer: History begins at Sumer.
14. George Roux: Ancient Iraq.
15. Durant, W. The Story of Civilization.
16. Lane, Babylonian Problems.
17. Gibbon E., Decline and Fall of the Roman Empire.
18. Ancient N.E. Texts.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی